

### الملخص

هدفت الدراسة التعرف على النسق القرابي في مجتمع بيت حانون الحضري، وتم الاعتماد على عدة مناهج لتحقيق أهداف الدراسة منها: منهج دراسة الحالة، والمنهج الأنثروبولوجي بأدواته: الملاحظة بالمشاركة والمقابلة، والاعتماد على دليل المقابلة لجمع البيانات من (١٥) حالة بقصد من الوجهاء الذكور في عائلاتهم القرابية الممتدة، والإناث اللاتي لديهن معرفة في العادات والتقاليد، ولقد أضفت الدراسة إلى أن مجتمع بيت حانون مجتمع عائلي تحكمه القوانين العرفية التي تضمن للعائلة القرابية بقاءها، وشاعت بينهم العصبية القرابية على طبقات تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم، فهو في عائلته يتعصب لأسرته على سائر الأسر، والفرع الذي هو منه على سائر الفروع، ولعائلته القرابية على العائلات الأخرى، وأضافت الدراسة بجانب الرابطة الدموية أيضاً رابطة القرابة بالمصاهرة التي تجمع بين العائلات عن طريق الزواج الذي له تأثيره على بنية العلاقات القرابية والاجتماعية في المجتمع .

الكلمات المفتاحية: النسق القرابي، المجتمع الحضري، سوسيوأنثروبولوجية، مدينة بيت حانون.

### The kinship System in the Urban Society "A Socio-Anthropological Study in Beit Hanoun City"

#### Abstract

The study aimed to identify the kinship system in the urban community of Beit Hanoun, and several approaches were relied upon to achieve the objectives of the study, including the case study method, and the anthropological approach with its tools observed by participation and interview, and relying on the interview evidence to collect data from (15) cases with the intent of male notables in their extended kinship families, and females with knowledge of customs and traditions, The study added that the community of Beit Hanoun is a family society governed by customary laws that guarantee the survival of the kinship family. Therefore, kinship nervousness spread among them on layers appropriate to the group to which one of them belongs, as he is in his family intolerant of his family to all other families, and the branch from which he is from all branches, And his kinship family over other families, and the study also added, on the side of the blood bond, the kinship bond by intermarriage that brings together families through marriage, which has an impact on the structure of kinship and social relations in society.

**Key words:** kinship system, urban society, socio-anthropology, the city of Beit Hanoun.

\* أستاذ مساعد في الأنثروبولوجيا ، قسم علم اجتماع، كلية الآداب، جامعة القدس المفتوحة، غزة، فلسطين.

## النسق القرابي في المجتمع الحضري...

### مقدمة:

يبين المُتخصصون في العلوم الاجتماعية تصنيف الدراسات النظرية والحقلية في دراسة المُجتمع من خلال مبحثين: علم الاجتماع الذي يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية في مختلف المجالات الإنسانية، وعلم الأنثروبولوجيا الذي يهتم بدراسة علم الإنسان الطبيعي (البيولوجي والفسولوجي)، والاجتماعي الثقافي (محبوب، ٢٠٠٩: ٣٠٩)، وتُعتبر الدراسات الأنثروبولوجية أوسع الدراسات الاجتماعية نطاقاً وأشملها موضوعاً وأغزرها مادةً وأقدمها عهداً؛ لأنَّ النظرة التقليدية لهذه الدراسات كان الفهم من وراءها يتركز حول الدلالة على كل دراسة تتعلق بنشأة الأجناس البشرية، والتقاليد والحضارات الإنسانية والنظم الاجتماعية، والبحوث المتعلقة بالصفات الطبيعية المميزة للعائلة البشرية (إبراهيم، ٢٠٠٣: ٥) ولا يغفل المختصون الاجتماعيون والأنثروبولوجيون بالنظر إلى طبيعة مكان إقامة الإنسان باعتباره إطاراً اجتماعياً وجغرافياً يتضمن نظاماً من العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم (شتيوي، كرادشة، ٢٠١٣: ٣٧٥) حيث يجد الإنسان أمامه مصادر متعددة لشبكة العلاقات بين أعضائه خاصة الجماعات القرابية، التي يمكن أن يترابط بواسطتها مع الآخرين عند إقامته في المُجتمع، لهذا يلعب النسق القرابي دوراً في المُجتمعات ذات التنظيم القبلي خاصة؛ لأنَّ القرابة من الأسس التنظيمية الرئيسة التي ينهض عليها المُجتمع، وقد اضطلع العلماء بالدراسة المكثفة لأنساق القرابة المكوّنة من نظم القرابة الدموية، وانحدار الجماعات القرابية والزواج في الجماعات القبلية (البطن والفخذ والعشيرة والأسرة)، (عزام، وآخرون، ٢٠٠٩: ٣٤١).

وهنا تُخصص دراسة مُجتمع بيت حانون الحضري، ولا نطمح بالإلمام في كل الجوانب والتفاصيل لتحليل مراحل التغيرات التي حلت على هذا المُجتمع الفلسطيني منذ أزمنة غابرة إلى اليوم، فلقد أثبت التطور التاريخي أنه كان مُجتمعاً قروياً يهتم بالنظام الزراعي، ومرّ بتحوّلاتٍ مسّت هياكله البنائية، ثم توالى عليه عوامل التغيير والتطور حتى سار في اتجاه الحضريّة، وهنا نطرح المعالم المنقاة وصولاً إلى فهم وإدراك العلاقات الدالة على النسق القرابي في هذا المُجتمع الذي يتميز بتماسك العائلة القرابية، وابتداع أشكال التعاون والتجانس، وقوة الضبط الاجتماعي، ولكن ينبغي التنويه أنّ هذا المُجتمع لم يفقد استقلاله بصورة كاملة بالمعنى الاندماجي الكلي في نمط الحياة الحضريّة بخدماتها ومرافقها الحديثة والعلاقات الاجتماعية التي تحضرت وتمدّنت، بل إنّ سكان هذا المُجتمع بقوا محافظين على أنماط علاقاتهم القرابية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ويُمثل النسق

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

القرايّي في هذا المُجتمع المبدأ الرئيس الذي يرتكز عليه البناء الاجتماعيّ المكون من العائلة القرايية الممتدة فيه الوحدة القرايية ذات الأجيال المتعاقبة التي يسودها الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة والثقافيّة، وشيوع الانتماء للعصبيّة القرايية في مختلف المناسبات والأنشطة اليوميّة، ومن هذا تم التركيز على القراية الدمويّة (العاصبة)، والقراية عن طريق المصاهرة (الزواج).

#### مشكلة الدراسة:

إنّ دراسة الواقع الاجتماعيّ ينبغي أن تكون بشكلٍ منظمّ؛ لأنه متعدد العلاقات، ومكوّن من أجزاء متسندة، فلقد حاولت الدراسة التعرف على النسق القرايّي في المُجتمع، وما يواجهه من تغيرات اجتماعية نتيجة تطوّر وتحوّل للأنماط في المُجتمع، وعلى هذا تكوّنت رؤية مختلفة في وجهات النظر الاجتماعيّة لدور النسق القرايّي في الحفاظ على العلاقات القرايية، وقد أثارت هذه الآراء تساؤلاً حول طبيعة النسق القرايّي موضحين القراية العاصبة والقراية عن طريق المصاهرة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ.

ومن خلال ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

ما طبيعة النسق القرايّي في المجتمع الحضريّ؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعيّة التالية:

١. ما طبيعة القراية الدمويّة (العاصبة) في مُجتمع بيت حانون الحضريّ؟

٢. كيف تكون القراية بالمصاهرة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ؟

#### أهداف الدراسة:

١. الكشف عن طبيعة علاقات القراية الدمويّة (العاصبة) بين أفراد العصبية المرتبطين ببعضهم البعض بروابط الدم في مجتمع بيت حانون، وكشف مدى مشاركتهم في مناسبات أقاربهم، والالتزام تجاههم، ودورهم الاجتماعي حسب الدرجة القرايية لكل منهم.

٢. الكشف عن تكوين القراية بالمصاهرة في مُجتمع بيت حانون من خلال التعرف على أُسس الاختيار عند الزواج، وطبيعة الزواج الداخلي والخارجي والطلاق، والتعرف أيضاً على ظاهرتي تعدد الزوجات وزواج البدل وما ينتج عنهما.

#### أهمية الدراسة:

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

تتبع أهمية الدراسة من خلال أهميتين: أحدهما نظرية وأخرى تطبيقية، فالأهمية النظرية توفر مجموعة من البيانات الواقعية التي يمكن الاستفادة منها في مجال الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية في المجتمع الفلسطيني، ومحاولتها إثراء الدراسات الخاصة بالنسق القرابي، كما يمكن أن تُسهم في محاولة وضع إطار تصوري لفهم العلاقات القرابية، واختيار بعض القضايا النظرية المتعلقة بالنسق القرابي في ضوء الخصوصية المميزة لمجتمع بيت حانون الحضري.

أما الأهمية التطبيقية تكمن في أنها تسلط الضوء على واقع النسق القرابي في مجتمع بيت حانون، والتغيرات التي تواجه العلاقات القرابية، وذلك انطلاقاً من أن التعرف على هذه التغيرات يُساعد في إعطاء صورة واضحة لأهمية دور النسق القرابي في حياة الأفراد الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني.

### أولاً: الإطار النظري للدراسة:

#### النسق القرابي kinship system

إن التراث السوسولوجي والأنثروبولوجي يزخر بالعديد من النظريات منها: النظرية البنائية الوظيفية التي ترتبط بنظريات ونماذج العلوم الاجتماعية المفسرة لسلوك الإنساني، وعلاقات الأفراد في ضوء الوظائف التي يؤديها في الأنساق الاجتماعية والثقافية، ويفضل الأنثروبولوجيون مفهوم الوظيفة لتحليل طبيعة الثقافة ووظيفتها، وتفسير خصائصها وثباتها النسبي، ومصدرهم التحليلي التفسيري العريض في ذلك هو وقائع الحياة اليومية وترتيباتها في المجتمعات التقليدية البسيطة التي يدرسونها ميدانياً ضمن قدرات منهجهم وأدواتهم (جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٠: ١٤٧).

كذلك تبحث النظرية البنائية الوظيفية في الظواهر الاجتماعية للمجتمع بغض النظر عن بُنى وانتماءات تلك المجتمعات، فهي وضعت الأسس المفاهيمية اللازمة لرصد الأنساق وتفاعلاتها في أي مجتمع من المجتمعات، وتنظر إلى المجتمع على أنه يتكون من أجزاء لها أدوار ووظائف بشكل منظم تقوم بأدوارها في إطار الكل المتسق، وكل جزء يجب أن يقوم بدوره حتى لا يحدث الخلل الوظيفي الكلي، كما أن للمجتمع حاجيات يجب إشباعها وتلبيتها، وكل نسق فرعي يعمل على إشباع وتلبية هذه الاحتياجات حتى يتحقق التفاعل المؤدي إلى التوازن والاستقرار (غريبي وقلواز، ٢٠١٦: ١٨٦).

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

يحتل النسق القرابي مكانة في الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية؛ لاهتمامه بالدور الذي تأخذه علاقات القرابة وروابطها في حياة الفرد اليومية، بحيث يصبح هذا النسق أحد خيوط التماسك والانتماء بين الفرد والمجتمع، وتنسيق جهود المجموعات القرابية لتحقيق الأهداف المشتركة، والدعم والحماية المتبادلة، والتنشئة الاجتماعية بالنسبة للجماعة القرابية، وبناء العلاقة الاجتماعية التي تقوم على روابط الود، وعلى تلك العلاقات الزوجية التي تشمل على علاقات النسب أو المصاهرة (غزوي وخزاعلة، ٢٠٠٨: ١٤٦)، فالنسق القرابي: يُمثل العلاقة أو الرابطة التي تربط الأفراد والجماعات ببعضها البعض، وتكون هذه الرابطة إما دموية أو اجتماعية (عزام وآخرون، ٢٠٠٩: ٧٧).

"يمكن القول: إن النظرية البنائية الوظيفية ترى أن المجتمع نسقٌ متكاملٌ يتألف من عدد من الأجزاء القرابية المترابطة، ودراسة العلاقات القرابية بينها وبين الأنساق المختلفة للمجتمع، وتثري أيضاً أن المجتمع يقوم على أساس الجماعات المتعاونة التي تتجه نحو الاستقرار، وتتفق حول القيم المرتبطة بالأنساق القرابية، كما أن كل أجزاء النسق القرابي وارتباطها هي التي تحكم طبيعتها ووجودها واستقلالها عن بقية الظواهر، لتصل إلى تدعيم النسق الاجتماعي عامة".

"ويعتبر النسق القرابي من الأنساق التي يتكوّن منها البناء الاجتماعي في مجتمع بيت حانون، ويقوم على مبدأ الاعتماد المتبادل بين أجزاء القرابة حيث إن أيّ تغيير يحدث في أي جزء من أجزاء النسق القرابي يصاحبه بالضرورة تغيير مماثل في الأجزاء الأخرى المرتبطة بها؛ كونه يُمثل العلاقات المباشرة التي تنشأ بين شخصين نتيجة لانحدار أحدهما من صلب الآخر أو عن طريق الزواج، والتي يلتزم بها المتصلون الأقارب ببعضهم البعض، ومن أمثلة ذلك القرابة من خط الأب والقرابة من خط الأم في هذا المجتمع".

#### أنواع الروابط القرابية:

يحتل نظام القرابة وارتباطه الوثيق بالأنساق الزواج موقعاً رئيساً في الدراسات السوسيوأنثروبولوجية؛ كونه يُشكل شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يُمكن ذكرها كما يلي:

#### القرابة الدموية (العاصبة) Consanguinity

أجمع الأنثروبولوجيون على أن القرابة الدموية هي رابطة قرابية تقوم على أساس صلة الدم، أو من خلال انحدر أحدهما من صلب الآخر مثل: أخ الأب (العم) الذي يمكن أن نصفه "ابن أبي الأب"

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

فهو قريب دمويّ، والأخ قريب دمويّ؛ لأنّه "ابن أبيك" و"ابن أمك"، ومعرفة الفرد لجذوره الأولى، أو الجد الأساسي الذي ينحدر منه، يعطيه الشعور بالالتزام تجاه هؤلاء الأقارب، ويساعده على تحديد الدور الاجتماعيّ لأقاربه حسب الدرجة القرابية لكل منهم (عبد الحميد، ٢٠٠٧: ٢١)، كذلك تكون قرابة الدم بين الأشخاص الذين ينتسبون إلى نفس السلف، سواءً كان الجد ذكراً أو أنثى، حيث يوجد في هذه القرابة نوعان: القرابة الأولى والقرابة الثانوية، فالأولى: هي العلاقة التي تربط الوالدين بالأبناء، أو بين الأب والأخ، أي بين الإخوة داخل الأسرة، بينما القرابة الثانوية فهي: الرابطة الدمويّة التي تربط من خلال الجد المشترك؛ لأنّ المنحدرين من سلف مشترك، هم أعضاء ينتمون للجماعة الدموية، وذلك لأنّ انتماء الفرد لأبويه، يخوّله أن يكون عضواً في جماعتين دمويتين (محبوب، ٢٠٠٩: ١٠٥).

"وهنا نبين أنّ المقصود بالقرابة الدموية (العاصبة) في مجتمع بيت حانون: أنها الرابطة بين الأقارب العاصبين أو أفراد العصبة الذين يتمثلون في الأفراد المرتبطين ببعضهم البعض بروابط الدم بين الأفراد المتناسلين أحدهم عن الآخر كالجدة، ويتفرع منه الآباء ثمّ يتفرع منهم الأبناء، ثمّ أبناء الأبناء، ثمّ أبناء أبناء الأبناء وهكذا دواليك، فكل هؤلاء الأقارب يجمعهم دم واحد، وجد واحد مشترك تنتسب إليه كل العائلة القرابية في المجتمع".

### القرابة بالمصاهرة Affinity

إنّ تطور دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا القرابية ألقى الضوء على الجماعات الاجتماعيّة التي ترتبط برابطة القرابة التعاقدية، والتي تحدد العضوية فيها بالمصاهرة من خلال العلاقة التي تنشأ بالزواج، فترتبط أحد الزوجين وأقارب الزوج الآخر ليؤدي ذلك إلى اختلاط أسرهم، بحيث تشبه هذه العلاقة علاقة الدم التي تربط أفراد الأسرة الواحدة برابطة القرابة (عبد الحميد، ٢٠٠٧: ٢١)، علماً أنّ الدراسات حول القرابة لم تكن تدرس إلا ما يُعرف بالقرابة الدمويّة فحسب؛ ولذلك لم يكن الأصحاح يُعدون أقارب بالمعنى الدقيق للكلمة، ويطلق الرجل كلمة صهري لزوج أخته، وكذلك شقيق زوجته، وهنا تنشأ علاقة اجتماعيّة على أساس رابطة القرابة، ويُسمى الأول زوج العمّة، والثاني الخال (شكري، ١٩٩٦: ٦٠-٦١).

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

"وهنا يمكن القول: إنَّ القرابة بالمصاهرة في مُجتمع بيت حانون الحضري هي قيام علاقات ترابط بين أسرتين عن طريق الزواج، وعلى هذا تشكلت العلاقات القرابية والاجتماعية عن طريقها، لاعتبار أنَّ المصاهرة تكوّن القرابة".

### المُجتمع الحضري:

تضمّن الثّراث السوسولوجي والأنثروبولوجي عدداً من المصطلحات والمفاهيم التي ترتبط بتحديد مفهوم المُجتمع، لهذا يُعتبر المُجتمع الحضري عبارة عن تجمع يضم مدينة كبيرة، تحيط بها ضواحي مترامية الأطراف مُكونة بيئة حضرية وصناعية، ذات كيان متنامٍ في معظم الحالات، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى خلق سوق عمل حضري واحد، أو منطقة واحدة تضم أماكن العمل والسكن (جوون، ومارشال، ٢٠١١: ١٢٧)، وعرف الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني المُجتمع الحضري في المُجتمع الفلسطيني بأنه: كلُّ تجمع سكاني يُدار من قبل مجلس بلدي بصرف النظر عن السكان والخدمات المقدمة وفقاً لما هو معتمد لدى وزارة الحكم المحلي، حيث بلغت نسبة السكان الحضريين في فلسطين عام ٢٠١٧ (٧٧%) (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠١٩: ٢٣).

"مما سبق يمكن استخلاص مفهوم للمُجتمع الحضري: هو عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون على مساحة جغرافية، ويمتهنون الحرف الصناعية والتجارية، وتسودهم علاقات قرابية، ويعتمدون في حياتهم على عدة مؤسسات صحية وتعليمية واقتصادية وخدمية تشبع احتياجاتهم ورغباتهم في مُجتمع بيت حانون".

### خصائص البناء الاجتماعي في المُجتمع الحضري:

١. الجانب الخاص بالسمات البيئية للمجتمع الحضري: يشكل هذا الجانب ما يمتاز به المدينة كبنية حضرية من حيث الحجم الكبير والواسع، وتوافر الخدمات المختلفة، وسائل المواصلات والتوزيع وتنظيم العمل، وأثر كل ذلك في مناطق المدينة، وما يمتاز به من أنشطة وسمات بنائية.
٢. الجانب الخاص بالسمات الفردية للمجتمع الحضري: يتناول هذا الجانب ما يمتاز به الإنسان الحضري نفسه من خصائص فردية: القدرات والمهارات وأسلوب التفكير والتصرفات.

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

٣. الجانب الخاص بأنماط القيم والعلاقات الحضريّة: يتناول هذا الجانب التحصّر كنمط للبناء الاجتماعيّ، ممّا يجعل أساليب التكامل، وأنماط العلاقات الاجتماعيّة بين الجماعات الحضريّة والأفراد وحدات الدراسة الرئيسيّة (Burgess, 1964).

"وبناءً على ما تقدم يمكن القول: إنّ خصائص البناء الاجتماعيّ في مجتمع بيت حانون الحضريّ منه ما يتعلق بالسمة البيئية حيث إنّ كان مجتمعاً قروياً صغير الحجم، وبعد ذلك توافرت فيه مميزات البيئة الحضريّة، وأنشطة وسمات بنائية ليكون مجتمعاً حضرياً كبيراً اتسعت فيه رقعة الامتداد العمرانيّ والسكانيّ، ولقد ظهر في هذا المجتمع ما يميز الفرد نفسه، حيث إنّ أفرادهم يمتلكون قدرات ومؤهلات علميّة ومهارات في التخصصات المهنية، وحققوا مكانات سيادية في المجتمع الفلسطينيّ، كذلك ظهر فيه زاوية التنظيم الاجتماعيّ الذي يضم بناءً اجتماعياً متميزاً، ونمطاً نموذجياً من العلاقات الاجتماعيّة، ومجموعة من الاتجاهات والأفكار لأناس يشتركون في أنماط القيم والسمات الشخصية للأفراد المتحضرين".

**أنماط العلاقات في المجتمع الحضريّ:**

حتى نستطيع فهم أنماط العلاقات الاجتماعيّة السائدة في المجتمع الحضريّ، ينبغي أولاً أن نعرف أنّ هذا المجتمع يمتاز بخصائص وسمات، وتحيط به ظروف خاصة من شأنها أن تحدد علاقات الأفراد والجماعات فيه بشكل يتناسب مع تلك الخصائص والظروف (عزام، وآخرون، ٢٠٠٩: ٣٣٩).

١. نمط العلاقات الاجتماعيّة: إنّ العلاقات الاجتماعيّة مؤشر مهمّ على القبول الاجتماعيّ أو التكيف داخل المجتمع الحضريّ نتيجة قيام نوع من المشاركة في المشاعر والاتجاهات، وهذه العلاقات تتضمن في واقع الحال نوعاً من الترابط والتعاون والمعرفة المتبادلة.

٢. نمط العلاقات القرابية: إنّ العلاقات القرابية في المجتمعات الحضريّة قد أصابها الكثير من التغيرات التي اتجهت نحو تراجعها، وأصبح الفرد الحضريّ أو الجماعة الحضريّة لا تؤدي دورها في العلاقات القرابية، ممّا يؤدي إلى تراجع قيمة مثل هذا النمط من العلاقات القرابية وفقاً لحسابات الإنسان الحضريّ.

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
٣. نمط علاقات الجوار: فالجيرة في المجتمع الحضري تشكل وحدة أساسية في الحياة الحضرية، وهي إطار اجتماعي فاعل في تشكيل العلاقات الاجتماعية الحضرية في المدى الزمني الطويل، وتحل الجيرة محل القرابة كإطار للتفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية بين الحضريين.

٤. نمط علاقات الصداقة: فالصداقة مستقلة عن القرابة والجوار، هي نابعة من المشاركة الوجدانية التي تحدث نتيجة تشابه الأفراد في العمل واتجاهات التفكير، وعلى الرغم من أن القرابة والزواج أو المصاهرة والجوار، ومجال العمل، تعد مجالات تتيح قيام علاقات الصداقة لكنها ليست بالضرورة سبباً لها أو أساساً ضرورياً لقيامها بين الأفراد في المجتمع الحضري.

"من خلال ما سبق يمكن وصف أنماط العلاقات في مجتمع بيت حانون الحضري على أنها علاقات اجتماعية متنوعة ناجمة عن التفاعل القائم بين الأفراد، ولكن نجد أن نمط هذه العلاقة الاجتماعية تغير عن الماضي نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والقيمية المتتالية عند دخولها على هذا المجتمع، وتحولت العلاقات التي تربط الأسرة بأقاربها واتخاذها شكلاً مغايراً لما كانت عليه في العائلة القرابية التقليدية القديمة التي لا زال الفرد فيها يعيش منذ عدة أجيال يتضامن مع الجيران وتجمعهم روابط إنسانية بحكم الجيرة، فلقد شجع التقارب المكاني بين الأفراد على تبادل العلاقات، وعلى هذا قيام علاقة صداقة بينهم، وأيضاً من شأن التقارب المكاني بين الأفراد أن يسهل تكرار احتكاكهم ببعض البعض الذي يؤدي إلى نشوء شعور بالألفة بينهم، وتطور هذه العلاقة إلى مستوى الصداقة في هذا المجتمع".

"ويمكن تفسير الاعتقاد بأن الحياة الحضرية أدت إلى عزل العائلة عن شبكة العلاقات القرابية، إلا أن الدراسة الميدانية تؤكد استمرارية شبكة العلاقات القرابية والاجتماعية بين العائلات، إذ لا تزال هذه العائلات ترتبط بالعلاقات مع الأقارب، ولكن وجود العوامل آفة الذكر أدت إلى تغيرات في أنماط العلاقات القرابية وليس زوالها".

#### الدراسات السابقة:

بيّنت دراسة كرابية (٢٠١٧) طبيعة الروابط القرابية في المجتمع الحضري الوهراني، وتوضيح دور العلاقات القرابية، كصلة الرحم والنسب والأسرة والزواج، نظراً للدور الذي تلعبه في ظهور الرابطة الاجتماعية القرابية في مجال الأنثروبولوجية الحضرية، كظاهرة تتعرض للنمو والتطور بالتغير

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

الاجتماعي الذي تعرفه من جهة المجتمع الجزائري، ومع التغيرات الحديثة التي قللت من رابطة القرابة، وتزايد حرية الفرد في اختيار شريك الحياة، وهذه الظاهرة متزايدة؛ لأنها تركز على الزواج الخارجي، وضعف ميلهم للزواج الداخلي القرابي، وانتقال الأسر النووية للعيش في السكنات العمودية مع زيادة أزمة السكن، مما أدى إلى الانفصال عن العائلة اجتماعياً.

تناولت دراسة عبدربه (٢٠١٥) النسق القرابي بالمجتمع السيناوي وعلاقته بالتغيرات البيئية المعاصرة في المجتمع المصري، وأكدت على أهمية التنشئة الاجتماعية في المراحل العمرية المختلفة لدى الأبناء، وفضلت الزواج الداخلي من أنواع الزواج في نظام المهر والحناء والعُرس، وتناولت أيضاً نظام الزواج التعددي والطلاق والتطليق، وكذلك توضيح مدى علاقة النسق القرابي بالتغيرات البيئية المعاصرة، وأنساق الضبط الاجتماعي وعلاقته بالنسق القرابي من خلال تناول وسائل الضبط الرسمية من قوانين رسمية، ووسائل الضبط غير الرسمية التي اعتبرت أنها الأكثر اهتماماً وانتشاراً من قوانين عرفية وقضاء عرفي، وتناول أيضاً النظام الشعائري من معتقدات دينية.

وكشفت دراسة بركات (٢٠١٢) عن تغير الأحوال والعلاقات في المجتمع العربي المعاصر بمجموعة من المسائل التي تطرحها مهمات التعامل مع معضلات التنوع والاندماج الاجتماعي والسياسي داخل كل بلد عربي، وفيما بين البلاد العربية، وبيّن الباحث في دراسته على الاعتراف بوجود مختلف من النزعات والتوجهات في بعض المسائل، وقد اقتضت مهمة دراسة هذه المسائل الشائكة أن تناولها الباحث في سياقها الاجتماعي والتاريخي، وقدم لها تفسيراً بنائياً، فركز على دراسة البنية الطبقيّة والاختلاف في الأنماط المعيشية، وما يترتب على ذلك من تنوع في التنظيم الاجتماعي، و دراسة الثقافة بمختلف تشعباتها وتنوعها، كما تناول مختلف جوانب التحولات في البنية الاجتماعية، كما في الحياة الثقافية.

وأظهرت دراسة عبد (٢٠١٢) كيفية تراجع دور البنية العشائرية التقليدية على مستوى العلاقات القرابية في المجتمع العراقي، إذ أصاب القرابة الكثير من الضعف لتبرز محلها المصالح والمطامع الشخصية إلى جانب القرابة، وأدى كبر حجم العشيرة إلى انقسامها إلى عشائر عدة وأصبح لكل منها رئاسة خاصة بها، مع ظهور حالة من الازدواجية الاجتماعية بين القيم الفردية الناتجة عن التغير الثقافي والاقتصادي وبين مصالح العشيرة الجماعية ما جعل كثير من الأفراد يتخذ من العشيرة وسيلة لتحقيق منافع سياسية واقتصادية، التي أصبحت علاقاته بالعشيرة شكلية أكثر منها

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
مفصلية، وعلى الرغم من التغير الذي طرأ على البنية التقليدية للعشيرة إلا أنَّ هناك تمييز بين الذكر  
والأنثى لصالح الذكر في المجتمع العشائري، وأنَّ هناك تغيرات اجتماعية حصلت في نظام الزواج  
فلم يبقَ الزواج الداخلي الشكل السائد في المجتمع العشائري، بل أدى انفتاح العشيرة على المدينة  
إلى ظهور الزواج الخارجي.

#### التعليق على الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من الدراسات السابقة في تحديد خطوات ومراحل البحث العلمي، وخاصة من دراسة  
حليم بركات في المجتمع العربي المعاصر في تغير الأحوال والعلاقات من ترتيب الخصائص  
النبوية للعائلة القرابية في مجتمع بيت حانون، كما الاستفادة من دراسة عبد ربه في الكشف عن  
طبيعة علاقات القرابة بالمصاهرة وزواج البديل وتعدد الزواج، كما الاستفادة من دراسة كرابية في  
التعرف على طبيعة الروابط القرابية في المجتمع الحضري، كما الكشف عن نتائج دراسة عبد من  
ظهور التغير الذي طرأ على البنية التقليدية للعائلة القرابية.

#### ثانياً: الإطار المنهجي للدراسة:

##### ١. الإجراءات المنهجية:

##### مجتمع الدراسة:

يتكوّن مُجتمع بيت حانون الحضريّ من مجموعة من العائلات القرابية الممتدة في المدينة نفسها،  
والعائلات التي سكنت في عزبة بيت حانون، وأبراج العودة والندى، حيث يسود كل علاقاتها روابط  
قرابية منضبطة بالعادات والتقاليد والأعراف الموروثة، نذكرها هنا حسب الترتيب الهجائي، وذلك فيما  
يلي:

أبوجراد، أبوعمشة، أبوعودة، أبوهرديد، البسيوني، حمد، حمدان، حمدين، الحويحي، الزعانين،  
الزويدي، سحويل، سعادات-عودة، شبات-فياض، الشنباري، العثامنة، عدوان، الكفارنة، المصري،  
مصلح، ناصر، نشوان، نصير، نعيم، وهدان، اليازجي.

ناهيك أنه يسكن مدينة بيت حانون عدد من العائلات لم يتم ذكرها أعلاه؛ لأنَّ الذكر على سبيل  
التمثيل لا على العدد أو الأفضلية.

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

#### محددات اختيار مجتمع الدراسة :

- وجود تيارات للتقليدية والحداثة، فالتقليدية تتمثل في الاتجاه الاجتماعي المحافظ الذي نجد فيه تحيزاً واضحاً بالتمسك بالأعراف والعادات والتقاليد القرابية، أما الحداثة نجد حرية في مواكبة التطور الحديث.
  - اتسام التجمعات السكانية بقدر من التنوع في الأنشطة الاقتصادية والتعليمية والمهنية والزراعية.
  - تنوع المستويات الطبقيّة والعمرية، وما يترتب عليها من علاقات قرابية في المجتمع.
  - وجود عدد من العائلات لها امتداد تاريخي، وعائلات أخرى حديثة السكن في المنطقة الجغرافية لهذا المجتمع.
  - وجود اختلاف في أعداد أفراد العائلات القرابية، فمنهم من وصلت أعدادهم بالآلاف، ومنهم بال عشرات في المجتمع.
  - وجود عائلات لها مكانتها ونفوذها الاجتماعي الكبير في المجتمع.
  - شيوع السكن المشترك الذي أدى إلى خلق نمط مركب من العلاقات الاجتماعية المختلفة، سواء العلاقات القرابية أو الجيرة أو الصداقة، وغالباً ما تتوزع المساكن وفقاً لنظام العائلات القرابية الواحدة.
  - غلبة نمط الأسرة الممتدة الذي تمثل في نظام العائلات القرابية الكبيرة في المجتمع.
  - انتشار عصبية العائلة القرابية بصورة جلية في المجتمع.
  - وجود عدد من العائلات القرابية لها شخص يُمثلها في المجتمع يُدعى مختار العائلة.
  - وجود تسهيلات إدارية واجتماعية تُساعد في الحصول على البيانات الكيفية والإحصائية التي تُسهل إنجاز العمل الميداني.
  - خبرة الباحث في الدراسة الميدانية المُعمقة بطبيعة المجتمع؛ لأنه من سكانه وهذا يسهل عليه التنقل فيه لإجراء الدراسة.
- ملاحح مجتمع الدراسة:**
- استعان الباحثُ بكتاب أصدرته بلدية بيت حانون لسرد الملاحح العامة لمجتمع بيت حانون (بلدية بيت حانون، ٢٠٢٠: ٨-١٠)

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

اللحة التاريخية: بيت حانون مدينة كان بها بيت لعبادة الآلهة والأصنام، أسسها ملك وثني هو الملك حانون، وكانت مصيفاً له، جرث بينه وبين الملك اليافي حروب طويلة حتى أهلكا أحدهما الآخر، فعملوا له تمثالاً على حسب عاداتهم -تذكيراً لعظمائهم- ووضعوه في بيت العبادة فاشتهرت المدينة ببيت حانون، وورد في تاريخ بئر السبع أنه في سنة ٧٢٠ ق.م مَشِيَ سرجون بجيوشه إلى جنوب فلسطين، فأخضع الفلسطينيين وبنى يهوذا، ويمكن أن نذكر في اللحة التاريخية أيضاً أن أهل مدينة بيت حانون دخلوا الإسلام منذ الفتح الإسلامي، وقد جرث فيها وقائع وحصلت نواحيها معارك دموية؛ لأنها باب غزة الشمالي، وفي يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الأول من عام ٦٣٧ هـ وقعت حرب بين الفرنجة والمسلمين بقيادة شمس الدين سنقر، وانكسر فيها الفرنج، كما تذكر البلاطة المثبتة على حائط مسجد المدينة الذي بني خصيصاً لذكرى هذه الموقعة وسمي مسجد النصر إحياء لذكرى هذه الواقعة.

الموقع الجغرافي: تقع مدينة بيت حانون في الجزء الشرقي من قطاع غزة، يحدها من الشمال معبر بيت حانون "إيرز"، ومن الشرق الشريط الحدودي الفاصل بين قطاع غزة والأراضي المحتلة، ويحدها من الغرب مدينة بيت لاهيا، ومن الجنوب مدينة جباليا.

المساحة: تبلغ مساحة مدينة بيت حانون التاريخية (٢١,٠٠٠.٠٠) دونم) حيث يقع سائر نفوذ المدينة في مناطق حدودية تقع شمال وشرق المدينة، وهي مجاورة لمدينة دمرة المحتلة.

#### خصائص سكان مجتمع الدراسة:

لقد تم الاستعانة بالجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠١٧، في ترتيب خصائص السكان لمجتمع بيت حانون في الآتي: -

عدد السكان: يبلغ العدد الإجمالي لسكان مجتمع بيت حانون لعام ٢٠١٧ حسب فئة العمر الأقل من ١٤ عام (٢٣,٧٩٩) ما نسبته (٤٦%)، بينما وصل عدد السكان من فئة العمر ١٥ فأكثر (٢٧,٨٠٢) ما نسبته (٥٤%)، وعلى هذا يكون العدد (٥١,٦٠١).

الحالة الزوجية: أظهرت نتائج البحث السكاني لعام ٢٠١٧ أن عدد السكان الذين لم يسبق لهم الزواج أبداً - وتشمل الأفراد الذين لم يتزوجوا أبداً ومن عقد قرانهم لأول مرة - من الذكور بلغت (٥,٦٦٦) ما نسبته (٢٠%)، ومن الإناث بلغت (٤,٤٧١) ما نسبته (١٥%)، أما الأفراد

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

المتزوجون من الذكور قد بلغ عددهم (٨,٧٤٦) ما نسبته (٣١%)، ومن الإناث بلغ عددهن (٩,١٧٧) ما نسبته (٣٣%)، بينما بلغ عدد الأفراد المطلقين والأرامل والمنفصلين من الذكور (١٠٥) ومن الإناث (٨٩٠) ما نسبته (٣%) من إجمالي سكان مجتمع بيت حانون من (١٤) عام فأكثر).

نوع الأسرة: أظهرت نتائج البحث السكاني لعام ٢٠١٧ أن عدد الأسر النووية (٦,٩١٨) ما نسبته (٨٣%)، وأن عدد الأسر الممتدة (١,٤١٩) ما نسبته (١٧%) من إجمالي سكان مجتمع بيت حانون حسب التجمع ونوع الأسرة.

الجانب الاقتصادي: أظهرت نتائج البحث السكاني لعام ٢٠١٧ حسب العلاقة بقوة العمل، أنه قد بلغ عدد النشطين اقتصادياً (١١,٧٢٢) ما نسبته (٤٤,٥%)، وغير النشطين اقتصادياً بلغ (١٥,٠٥٠) ما نسبته (٥٥%) من إجمالي السكان في مجتمع بيت حانون من (١٥) عام فأكثر).

الالتحاق بالتعليم: تمثل بيانات حالة الالتحاق بالتعليم إحدى أهم المتغيرات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بغيرها من المتغيرات الديمغرافية والاقتصادية، فلقد تبين أن الملتحقين بالتعليم الحالي للسكان لعام ٢٠١٧ من الذكور بلغ عددهم (٩,٥٩٨) ما نسبته (٢٢.٣%)، ومن الإناث بلغ عددهن (٩,٣٢١) ما نسبته (٢١.٧%)، بينما بلغ عدد غير الملتحقين الحاليين من الذكور (١١,٩٢٧) ما نسبته (٢٧.٧%)، بينما بلغ عدد الإناث (١٢,٠٩٥) ما نسبته (٢٨.١%) من إجمالي السكان في مجتمع بيت حانون من (٥) أعوام فأكثر).

"ومن خلال الملامح العامة وخصائص السكان ينبغي الذكر أن مجتمع بيت حانون الحضري يتكون من النظم القرابية التي تمثل إحدى تركيبات البناء الاجتماعي لذلك المجتمع، بما يحويه من المعايير والقيم والأدوار الاجتماعية، حيث تحكمه القواعد العرفية، والزعامة العائلية المتوارثة التي يعدونها جزءاً من هويتهم القرابية، وأن الامتثال لها تعبير عن الانتماء لهذه الهوية، ويتمثل نسق الضبط القرابي باحتكام سكانه إلى القانون العرفي الذي يتدخل في معظم جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعائلة القرابية وبين العائلات الأخرى".

### مناهج الدراسة وأدوات جمع البيانات:

تم الاستعانة بمنهجين في إطار جمع المادة وتحليلها أولهما: منهج دراسة الحالة، وثانيهما: المنهج الأنثروبولوجي بأدواته، ونعرض فيما يلي إسهام كل منهما على النحو التالي:

### منهج دراسة الحالة:

تم الاعتماد على منهج دراسة الحالة؛ كونه المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأي وحدة سواء كانت فرداً أو مؤسسة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً عاماً (حسن، ٢٠١١: ٢٤٧)، وتم اختيار مجتمع مدينة بيت حانون كدراسة حالة للوصول إلى تعميمات علمية أساسها التعمق ودراسة المواقف المختلفة دراسة تفصيلية في مجالها الاجتماعي، ومحيطها الثقافي بما يشمل من عادات وتقاليد وقيم وآراء وأفكار واتجاهات سائدة، والكشف عن الدور الذي يؤديه النسق القرابي في القرابة الدموية (العاصبة)، والقرابة عن طريق المصاهرة، ومن خلال هذا المنهج يمكن تحديد عينة الدراسة بالتوضيح التالي:

### عينة الدراسة:

تكوّنت عينة الدراسة من (١٥) حالة منهم: (١٢) من الذكور الذين لهم مكانة اجتماعية في عائلاتهم بناءً على عدد سكان عائلتهم وتسلسلهم القرابي، و(٣) حالات من النساء اللاتي لهنّ معرفة بعادات وتقاليد المجتمع القديمة والجديدة، وتمّ الاختيار بقصد لتكون العينة ممثلة لمجتمع الدراسة. لقد تمّ اختيار عينة الدراسة وفق أبعاد ومحددات يمكن عرضها بما يلي:

- البعد النوعي: اختيرت عينة الدراسة بناءً على جنس الحالة من الذكور والإناث الموجودة فعلياً داخل مجتمع بيت حانون الحضري.
- البعد التعليمي: اختيرت العينة بناءً على المستوى التعليمي لمعرفة اختلاف الرؤى بين كافة الفئات التعليمية.
- البعد المهني: مراعاة الاختلاف المهني سواء في المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية؛ وذلك لأنّ العمل قد أتاح قدراً من الوعي لدى الفرد في المجتمع.
- الحالة الزوجية: اختيرت العينة من المتزوجين؛ وذلك للتعرف على الاختيار الزوجي من داخل العائلة القرابية أو خارجها.
- البعد الطبقي: اختيرت عينة الدراسة بناءً على التنوع الطبقي التي تمحورث (مجازاً) في ثلاث طبقات رئيسية: (عليا، وسطي، دنيا)، واستند الباحث في تصنيفه لهذه الطبقات على متغيرات، من

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

أهمها: (التعليم، العمل، الدخل، الملكية)، كذلك من مُتغيرات استمدها من المعاشية الميدانية (شكل المسكن - أصول الأسرة ومكانتها).

• شكل الأسرة: راعى الاختيار التباين في نمط الأسرة سواءً كانت أسرة نووية أم ممتدة، وذلك لمعرفة قوة النسق القرابي وفقاً لنمط الأسرة المعيشية.

• البعد الجيلي: إظهار دور الاختلاف الجيلي في إلقاء الضوء على أبعاد الرؤية في المجتمع وملامحه، كذلك بيّن مدى اختلاف السن في معرفة التفاصيل، واختلاف الرؤى حسب كل مرحلة عُمرية في التشديد والتمسك بالعادات والتقاليد القرابية، وبيّن التي تتسم باللين ومواكبة الحداثة في المجتمع.

• البعد القرابي: مراعاة التسلسل الزمني لأجيال أفراد العائلة القرابية في المجتمع بناءً على أعدادهم السكانية.

• البعد الجغرافي: مراعاة البعد الجغرافي في الوقوف على الحدود الجغرافية، والتعرف على تجمعات العائلات القرابية السكانية لمجتمع بيت حانون الحضري، حيث ساعد ذلك في تحديد أهم الخصائص التي تميزه كمطقة لها خصائصها التي قد تختلف عن المناطق الأخرى، في أنها منطقة يسودها النسق القرابي.

#### المنهج الأنثروبولوجي وأدواته:

تمّ استخدام المنهج الأنثروبولوجي؛ كونه منهج المعاشية الميدانية، ويساهم في دراسة مجرى التطور الإنساني، واختيار مجتمع الدراسة، كذلك يتوفر في هذا المنهج أدوات لجمع بيانات مُعمقة يمكن عرضها بما يلي:

#### الملاحظة بالمشاركة:

تمّ الاعتماد على أداة الملاحظة بالمشاركة في جمع البيانات التي شاع استخدامها من ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة كالأُسرة والقبيلة، وهي التي تتضمن اشتراك الباحث في حياة الناس الذين يقومون بملاحظتهم ومساهمته في أوجه النشاط التي يقومون به لفترة مؤقتة وهي فترة الملاحظة (حسن، ٢٠١١: ٣١٩)، وتعددت المواقف التي تمّ الاستعانة فيها بالملاحظة بالمشاركة، ومن المواقف التي تمّ ملاحظتها هي:

- د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢
- الوقوف على كثير من تفاصيل الحياة للأفراد، وعلاقتهم الاجتماعية والقربانية حول المناسبات الاجتماعية مثل: (مراسم حفلات الزواج، وترتيبات إجراء حالات الوفاة وإحياء الأعياد، والزيارات الاجتماعية الأخرى)، كذلك ملاحظة المعاملات اليومية العادية مع أعضاء المجتمع، في السوق والمؤسسات ومع الجيران.
  - ملاحظة التضارب بين الشهادات اللفظية التي يدلي بها المبحوثون أحياناً، والشواهد الواقعية في الميدان حقيقةً وفعلاً، فالقول شيء والفعل شيء آخر، فقد تم ملاحظة - مثلاً - التمييز بين الذكر والأنثى في كثير من المواقف، في حين يؤكد الأفراد على عدم التمييز، وأن الجميع سواء، فالذكر مازال رمزاً مثالياً داخل المجتمع، ويُعبر عن المسؤولية والقوة والعقلانية، والقادر على مواجهة الصعوبات التي تواجه العائلة القربانية.
  - ملاحظة زيادة التعصب القرباني في حدته ولا سيما إذا تارثت المشكلات بين العائلات المتنازعة، وتربصت كل عائلة ببعضها البعض دون النظر إلى سوء العاقبة، ظناً منهم أن التسامح قد يفسره الآخرون بأنه ضعف واستكانة، وعدم اعتزاز بصلة القرابة الدموية.
  - ملاحظة إخفاء بعض أفراد العائلات القربانية الولاء للعصبية القربانية، وتبريرهم لذلك بعدم التقليدية، وأنهم أصحاب فكر معاصر.
  - ملاحظة كيفية القضاء العشائري في المجالس العرفية إذا وقعت النزاعات بين بعض العائلات، وتتفاوت خطورة النزاعات ابتداءً من الخلافات الشخصية والاجتماعية إلى القضايا المتعلقة بالاعتداء والقتل، حيث كل عائلة تلتزم بإرسال جاهة - التي تتشكل من مجموعة من الأفراد الوجهية الذين لهم مكانة اجتماعية - في حال قام أحد أفرادها بالإساءة أو الاعتداء على فرد من عائلة أخرى، وتذهب (الجاهة) إلى العائلة التي صدر بحقها الإساءة، وتطلب منها الصلح من خلال إعطاء وجه أو عطوة بين المتنازعين، حيث يتم إلزام المتنازعين بعدم وقوع المشاكل، وفي الغالب يتم أخذ وجه أو العطوة حسب طبيعة المشكلة، والهدف من الصلح والقضاء العشائري إصلاح ذات البين لتحقيق السلم الأهلي، مع التأكيد أنه ليس بديلاً أو إلغاءً لدور قانون الدولة.
  - ملاحظة ضعف نظرة بعض أفراد المجتمع في أن النزاعات الداخلية والخارجية لن يتم حلها إلا من خلال ممثل العائلة، وذلك امتثالاً لتطبيق القانون العرفي المتبع.

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

• كما كشفت الملاحظة التداخل والتلاحم بين الأقارب، والسكن المشترك للعائلات القرابية الممتدة داخل المجتمع.

• ملاحظة تشابك العلاقات الاجتماعية بين العائلات سواء القرابية وغير القرابية في المجتمع. المقابلة المعمقة:

تمّ الاستعانة بأداة المقابلة المعمقة التي تُستخدم في المنهج الأنثروبولوجي، لجمع المادة الميدانية التي شملت طبيعة تكوين النسق القرابي في مجتمع بيت حانون الحضري من خلال تطبيق دليل المقابلة المعمقة الذي تمثل فيما يلي:  
دليل المقابلة:

تمّ الاستعانة بدليل المقابلة في جمع البيانات التفصيلية المعمقة، وتصميمه وعرضه على العديد من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص، بهدف التأكد من صدق أسئلة محاوره ومدى ملاءمتها لأهداف الدراسة، وتمّ التدقيق والتعديل عليه حتى وصل في صورته النهائية ذات الطابع الأنثروبولوجي، وقُسم الدليل إلى ثلاثة محاور، تكوّن المحور الأول من البيانات الديمغرافية (العمر، المستوى التعليمي، المهنة، عدد الأبناء، نوع الأسرة)، وتضمن المحور الثاني: القرابة الدموية (العاصبة)، وتكوّن من ١٠ أسئلة، وتضمن المحور الثالث: القرابة بالمصاهرة التي تكوّن من ١٠ أسئلة، وتمتّ المقابلات مع عدد من الوجهاء الذكور أصحاب المكانة الاجتماعية في عائلاتهم القرابية، والإناث اللاتي يعرفن في العادات والتقاليد في مجتمع بيت حانون الحضري.

**خطوات العمل الميداني:**

**المرحلة الأولى: مرحلة الاطلاع على التراث النظري:**

بدأت هذه المرحلة بالاطلاع على الكتب الخاصة بالتراث النظري والدراسات السابقة، وعلى أحدث ما وصلت إليه الدراسات في الجوانب الاجتماعية والثقافية لمسايرة التطور الذي تحتاجه الدراسة الحالية من معرفة طبيعة النسق القرابي في المجتمع الحضري، والاعتماد على السجلات والوثائق الرسمية عن المجتمع، وتعداد السكان والمرافق والخدمات، وذلك من المصادر الرسمية مثل الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وبلدية مدينة بيت حانون مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ البيانات لا تكفي وحدها في فهم المواقف الاجتماعية، أو إعطاء صورة معمقة للظاهرة المدروسة؛ حيث أفاد التحصيل الدقيق في السجلات والوثائق الرسمية الكشف عن أهم الخصائص التي يتمتع بها سكان

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
مُجتمع الدراسة (التعليم- العمل- عدد السكان- وتقسيمهم النوعي- وتقسيم العائلات القرابية)، وفي ضوء ذلك تمّ التعرف على طبيعة النسق القرابي، والوقوف على نسب التعليم وعدد العائلات، ومعرفة أشكال التمييز بين الذكور والإناث، وما طرأ عليها من تغيراتٍ مثل استقلال كل عائلة قرابية بممثل عنها لحل المشكلات، كما أنها تفيد أيضاً في التأكد من صحة البيانات التي سبق جمعها بوسائل أخرى كالملاحظة بالمشاركة والمقابلة.

#### المرحلة الثانية: المرحلة الاستطلاعية:

بدأت هذه المرحلة في إجراء الدراسة الأوليّة، وجمع المعلومات والبيانات اللازمة عن المجتمع، وبلورة أسئلة دليل المقابلة.

#### المرحلة الثالثة: مرحلة الدراسة المُعمقة:

وهي المرحلة التي تمّ فيها تفريغ المادة الميدانيّة وتصنيفها وفقاً لدليل المقابلة، والذي تم التركيز فيه على جمع المادة الميدانية بصورها المُعمقة.

#### المرحلة الرابعة: مرحلة تصنيف المادة الميدانية:

في هذه المرحلة تمّ تصنيف وتحليل مصادر المادة الميدانيّة التي اعتمدت على أسس منهجيّة رصينة، والتي تمّ توظيفها بعد تصنيفها في إطار موضوعات الدراسة، واعتبارها مادة مكملّة تجعل رؤية موضوع النسق القرابي أكثر شمولاً في مجتمع بيت حانون الحضري، حيث إنّ المرحلة النهائيّة لإعداد الدليل لم تكتمل إلا بعد الانتهاء من كتابة سطور هذه الدراسة، فقد تمّ تغيير الموضوعات عما كانت عليه في التطبيق الأولي، وذلك وفقاً لما أفرزه الواقع، ممّا أسهم في إضافة بعض الموضوعات أو حذف البعض الآخر، الأمر الذي ساهم بدور فعال في الجمع الميداني المنضبط.

#### حدود الدراسة:

**الحد البشري:** هم الذكور الذين لهم مكانة اجتماعيّة في عائلاتهم القرابية، والإناث اللاتي لهنّ معرفة بعادات وتقاليد المجتمع القديمة والجديدة.

**الحد المكاني:** اقتصرّت حدود الدراسة من الناحية الجغرافيّة على مدينة بيت حانون في محافظة شمال قطاع غزة.

**الحد الزمني:** بدأ العمل الميداني منذ بداية نوفمبر-٢٠١٩ واستمر حتى سبتمبر-٢٠٢٠.

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

٢. تحليل المادة الميدانية للدراسة:

تتناول هذه الفقرات عرضاً تحليلياً للمادة الميدانية على المستوى النظري والتطبيقي، ويمكن ذكرها على النحو التالي:

#### المصطلحات القرابية:

مما لا شك فيه أنّ دراسة الأنساق القرابية لا تكتمل دون التعرض لموضوع المصطلحات القرابية تلك التي تحدد المراكز الاجتماعية للأفراد، وأنّ كل الأشخاص الذين يُطلق عليهم نفس المصطلح القرابي ينبغي أن يلقوا نفس النوع من المعاملة حيث إنهم يتمتعون أيديولوجياً بمراكز متشابهة في نسق التنظيم الاجتماعي، وقد ميّز الأنثروبولوجيون بين المصطلحات القرابية وفرق حسام الدين بين نوعين من المصطلحات التي تمثلت في: (حسام الدين، ٢٠٠١: ٣٤).

مصطلحات القرابة الوصفية Descriptive Terms of Kinship: هي التي يُنادى بها الفرد من الأقارب ولا تُطلق على غيره مثل كلمة أب وأم وأخ وأخت، بينما يستخدم الأقارب الأكثر بعداً مصطلحات مركبة من كلمتين أو أكثر مثل ابن الأخ أو ابن الأخت.

وتقول الحالة رقم (٢) "أنا سميت أسماء أولادي على أسماء أقاربي، وأناادي على كل واحد حسب قرابته إذا كان أب وأم أو أخ وأخت أو ابن الأخ والأخت بنفس المسميات"، ويستدل من هذه الحالة أنّ أفراد العائلات القرابية في مجتمع بيت حانون الحضري يُسمون أبناءهم على أسماء أقربائهم ويستخدمون مصطلحات في تحديد وصف العلاقات القرابية، والغرض منها التعرف على الطريقة التي تستخدم في الحياة اليومية ومعرفة الدلالة الاجتماعية لها.

وتقول الحالة رقم (٤) "أناادي على كل شخص حسب اسمه ومكانته احتراماً وتقديراً، إذا كان الوالدان أو المرة (الزوجة) والأولاد حتى سميتهم على اسم والدي وجددي وأعمامي والقراب"، وهنا يمكن القول: إنّ أفراد مجتمع بيت حانون الحضري يحددون طبيعة العلاقات والأدوار المتنوعة بين أعضائها في تسميات الأب والأم والزوج والزوجة والأخ والأخت والأهل والأولاد الكبار والصغار والذكور والإناث، وبموجب هذه العضوية يكون التوحد في الهوية حتى الاندماج في المجتمع.

مصطلحات القرابة التصنيفية Classificatory Terms of Kinship: وهي المصطلحات التي تُستعمل لأشخاص يرتبطون بروابط قرابية مختلفة، ومثال ذلك استخدام مصطلح Uncle في

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

الإنجليزية للعم والخال، وزوج العمه وزوج الخالة، واستعمال مُصطلح الخال في الثقافة العربيّة للرجال من أسرة الأم، ومُصطلح العم للرجال من أسرة الأب.

وتشير الحالة رقم (٥) "أنادي على كل أقاربي يا بن عمي، وهم كمان ينادون عليّ بنفس الكلمة، وأنادي على كل أقارب أمي الله يرحمها بأخوالي"، ومن خلال المقابلات تبين إجماع عينة الدراسة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ أنّ كل أقارب الأب يطلق عليهم لفظ العم، وكل أبناء الأقارب في عائلة الأب يعرفون بأبناء العم، وكل أقارب الأم يطلق عليهم الأخوال.

ويمكن تفسير ذلك بأن أفراد مُجتمع بيت حانون الحضريّ يستخدمون مصطلحات لتصنيف العلاقات القرابيّة، وهذه دلالة على أنه لا يمكن دراسة الروابط القرابيّة دون تصنيف مُصطلحاتها؛ ذلك لأنّ كل مُجتمع إنسانيّ له طريقة تميزه في التعامل مع الأقارب في المُجتمع.

**الخصائص البنيوية للعائلة القرابيّة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ:**

**العائلة القرابيّة نواة التنظيم الاجتماعيّ:**

تُشكل العائلة القرابيّة في مُجتمع بيت حانون تقليداً متوارثاً ناتجاً عن رابطة الدم لمجموعة من الفروع وكلّ فرع يضم مجموعة من الأسر، والأخيرة تضم مجموعة من الأفراد، وتُعتبر هذه العائلة نواة الوحدة الاجتماعيّة الأساسيّة التي يتوقع من أعضائها التعاون معاً، واعتماد بعضهم على بعض، كل فرد فيها حسب طاقاته في المُجتمع، وقد تبين ذلك في قول الحالة رقم (٤) "تربطني علاقة دم مع أقاربي والاحتكاك معهم قوة لتماسك العيلة، وأشاركهم في كل المناسبات السارة والضارة، هذا واجب عليّ في أيّ أكون منهم ومعهم ويحموني وأحميهم"، ونعلق هنا أنّ الأقارب يهتمون بالدفاع عن عائلاتهم القرابيّة، ويواجهون من يعاديها، ويعززون علاقات عائلتهم بأقاربها وأصدقائها وحلفائها من العائلات الأخرى، علماً بأنّه كان في هذا المُجتمع تحالفات عائليّة، من خلال ضم العائلات الكبيرة في بنيتها عائلات صغيرة أخرى تحميها وتدافع عنها مقابل الطاعة وعدم التمرد عليها والتعامل بالمثل، إضافةً إلى تشكيل مجموعة من العائلات الصغيرة تحالفاً مع بعضها البعض حتى تعمل توازناً مع العائلات الكبيرة وتحالفاتها، حيث تقول الحالة رقم (٥) "أنا أتعاون مع أقاربي وأتضامن معهم في كل شيء، وتربطنا بهم علاقة التزام باللحمة والود، ومن يجرحني يجرحهم"، وهنا نقول: إنّ

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

العلاقات مع الأقارب تشمل عدة التزامات وتعاون، والإحساس بالوجود والكيان، والدعم الاجتماعي، ويكون الإنسان في هذه العائلة عضواً أكثر منه فرداً مستقلاً، ويكون التعاون ضمن العائلة القرابية. ويدعم الكلام الحالة رقم (٢) "زمان كانت العيلة صغيرة ومتراپطة، وكان المقعد (ديوان العائلة) يلم العائلة في كل المناسبات، وكل فرد سواء رجل أو امرأة في العيلة يكون ضمن مسؤوليتها، وتتحمل العيلة خيره وشره"، أي أنّ الفرد في العائلة ليس مسؤولاً عن تصرفاته الشخصية فحسب، بل عن تصرفات الأعضاء الآخرين، مثلاً انحراف الفتاة يمس العائلة كلها ولا يمس الفتاة وحدها، فجريمة الشرف هي بمثابة محاولة يائسة ومحبطة من قبل العائلة لاستعادة شرفها، وكذلك جرائم الثأر يُعتبر كل عضو في عائلة القاتل مسؤولاً عن القتل وليس القاتل بمفرده، من هنا التوقع أنّ ينكر الفرد ذاته من منطلق الالتزام الكلي الشامل، وأنّ يتم تأكيد العضوية لا الفردية المستقلة؛ ولكن هذا لا يعني أنّ العائلة القرابية تمكّنت من أنّ تحمي نفسها من التحولات الاجتماعية، فقد بدأت تتعرض كوحدة اجتماعية لبعض التغيير نتيجة هذه التحولات، ومنها نطاق المدينة الذي أصبح يشمل مختلف مرافق الحياة، كما تضيف نفس الحالة أنّ: "الأقارب زمان كانوا يحترمون بعض أكثر، اليوم ممكن تصير مشكلة بسبب الأولاد الصغار وقد تصل المشكلة للكبار، ويتدخل الوجهاء حتى يحلوها"، وهنا ينبغي القول: إنّ الكثير من العادات والتقاليد لا تزال تكبل أفراد المجتمع رغم ما طرأ عليها من تطور بفضل الانفتاح التعليمي والتقني، إلا أنّ تلك التقاليد لا تزال أعرافاً واجبة الاتباع يلتزم بها الأطراف المتنازعة بالحل السلمي مع ممثلي العائلة حتى يتحقق السلم داخل العائلة القرابية والمجتمع.

### أبوية العائلة القرابية:

بيّنت عينة الدراسة أنّ بنية العائلة القرابية بنية أبوية يحتل فيها الأب رأس الهرم، والأب هو الذي يتولى دور المنتج المُعيل للأسرة، لذلك تقول الحالة رقم (٣) "إنّ الأب هو مصدر القوة في البيت وهو الحامي والمسؤول عن الأولاد وتربيتهم ومصروفاتهم وهو الشوار والقوال، يعني هو الكل في الكل"، وهنا نقول: إنّ الأب يشغل مركز السلطة والمسؤولية في العائلة، ويتوقع الأب التقليدي من أفراد عائلته الطاعة والامتثال لمشيئته والتجاوب مع رغباته وتعليماته دون تساؤل، وهذا ما تؤكدته الحالة رقم (٦) "الأب مهما كان موقعه أو منصبه أو منزلته لا بدّ من احترامه وتقديره والطاعة له، وهذا منصوص بالشريعة الإسلامية حيث قال الله تعالى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)، أما ما هو منصوص بالعرف والعادة في القديم والحديث أنّ الأب له الاحترام والتقدير"، وهنا

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
نعلق قائلين: إنَّ الأب في هذا المُجتمع يحرص ألا يسمح لأفراد الأسرة بمناقشته، والتدخل في شؤون حياته في نسق من علاقات القوة المتميزة يُملِي عليهم من فوق إلى أسفل أوامره وإرشاداته وتعليماته وتهديداته، ويكون عليهم أن يستجيبوا باحترام وطاعة.

وتشير الحالة رقم (٧) "أيام زمان كنا نخاف من أبوي (الوالد) وهو خارج الدار، وكان الدلع والاهتمام للأولاد (للذكور) أما نحن البنات غلبانات كنا في العيلة، لكن اليوم تغيرت الدنيا في قوة سلطة الأب المطلقة، صار عند الأولاد كلمة وشخصية يُعطي الأب مساحة يتخذون فيها القرار"، وهنا نذكر: إنَّ هناك تغيّرات قد طرأت على الأسرة بحكم التحولات الاجتماعية التي أدت إلى تغيّرات في العلاقات العائلية التقليدية المرتبطة بنسق الحياة اليومية، وذلك عن طريق توزيع الأدوار داخل الأسرة، وتمتع الزوجة بقدر أكبر من المشاركة في إدارة شؤون المنزل، والإنفاق على مستلزماته، وفي علاقة الآباء الأقرب إلى التفاهم منها إلى التسلط والقهر مع الأبناء، وتوجه الأهل نحو تنفيذ قراراتهم بالمشاركة لا بالسلطة الأبوية التي اعتمدت على الهيمنة بالقوة، وهذا زاد من تمتع الأبناء بهامش من الحرية في تقرير شؤونهم الذاتية المتعلقة بالزواج والدراسة والعمل.

#### هرمية العائلة القرابية:

تقوم البنية التراتبية للعائلة القرابية في مُجتمع بيت حانون الحضري على أساس الجنس (النوع) والعمر، والعلاقات فيها بنية نوعية متميزة تتخذ أشكالاً مختلفة من بينها بنية المُجتمع الأبوي، الذي تحكمه التقليدية الذكورية، وتقييد لشخصية الفرد وثقافته وترسيخاً لقيمه وأعرافه الاجتماعية التقليدية، وتهميشاً للمرأة؛ لأنه ذو طابع نوعي وامتداد تاريخي يرتبط بالقيم والعصبية للعائلة القرابية التغالبية، وهيمنة الكبير على الصغير؛ لهذا يمكن التمييز بين شكلين لهرمية العائلة القرابية فيما يلي:

الأساس النوعي: الذي يقوم على تفوق الرجل على المرأة وهيمنته عليها من أجل تحقيق سيادته التي أدت إلى تهيمش دورها والتقليل من أهميتها الاجتماعية؛ وهذا سبب عدم المساواة في التكامل والتكافل الاجتماعي بين الجنسين، وقد تبين في ذلك قول الحالة رقم (٣) "الواحد ما يضحك على حاله الولاد (الذكور) في البيت عزوة وسند للعائلة وخاصة للبنات، الولد الحامي والمدافع عن عائلته، حتى لما تتجوز البنات يكون جوزها يحترمها لأجل إخواتها"، وتبين من قول الحالة على الصعيد الاجتماعي يهيمن النظام الأبوي على العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

تغلب عليها الانتماءات القرابية، لأنَّ هذا المُجتمع أبوي تقليديّ تسوده أنماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم.

أما الحالة رقم (٧) فتقول: "زمان ما كنت أقدر أعمل حاجة إلا بمشورة زوجي، ولكن بنات اليوم صار دلعهن أكثر، والطلوع والنزول أكثر، وصار لهنّ كلمة على أزواجهنّ"، وهنا يمكن القول: إنّ النظرة تتعرّض في الوقت الحاضر إلى تغييراتٍ هيكلية وتنظيمية، وإنَّ ارتفاع المستوى التعليمي للنساء، وتزايد مشاركة المرأة في العمل والإنتاج الاقتصاديّ خارج المنزل، وغيرها من التغييرات الكبيرة لصالح المرأة، قد منحها القدرة على اتخاذ القرارات الاجتماعية.

ويمكن القول: إنّ الواقع كان تهميشاً لدور المرأة بسبب الموروث الثقافيّ، والعوامل الاجتماعية والطبقيّة والقيم الذكورية التي نتجت عن مصالح الرجل في الهيمنة عليها والاستحواذ بها وإخضاعها لمشيئته، وهو أساس عدم المساواة بين الجنسين.

**الأساس العمري:** الذي ينبثق من سلطة الكبير الذي يهيمن بدوره على الصغير في حقوقه الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية، وهو ما يعيق مساواته مع الكبير في الإنسانية، وتشير الحالة رقم (٦) إلى أنّ "الأولاد لازم يسمعون الكلام ويتعلمون الطاعة الواجبة والاحترام الكبير"، ونستدل من هذا القول تسلُّط الكبار على الصغار وفرض الآداب والقواعد التي تتماشى معهم، وذلك بتوجيه الأوامر وإملاء التعليمات، وهذا النوع من التواصل الفوقي هو ما تتسم به علاقة الأب بأولاده، كما تقول الحالة رقم (٩) "جيل اليوم يحتاج اهتمام وما لازم تركهم لحالهم ولازم متابعتهم"، ويُمكن القول: إنّ علاقة الأهل بالذكر والأنثى تتسم بالحماية المفرطة من ناحية يعني قيام أحد الوالدين أو كلاهما نيابة عن الأبناء بالمسؤوليات التي يفترض أن يقوم بها الأبناء وحدهم والتي يجب أن يقوم بها الابن وحده حيث يحرص الوالدان أو أحدهما على حماية الابن والتدخل في شؤونه فلا يتاح للابن فرصة اتخاذ قراره بنفسه، وعدم إعطائه حرية التصرف في كثير من أموره وبالسلطة من ناحية أخرى، وتضيف الحالة رقم (١٠) "أولاد اليوم تمردوا على الواقع، وصار عندهم تعليم واختيار قرارات خاصة بيهم، نحن نتمنى لهم التوفيق من الله والمطلوب أن يعيشوا"، ونستدل هنا عن تغيير نظرة أفراد العائلة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ في تحديد النظرة إلى الابن في ضوء الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، حيث فقد الابن القيمة الاقتصادية التقليدية له، بحكم ظروف التعليم والتدريب التي عليه أن يمر بها كي يصبح عضواً كاملاً له مكانة في المُجتمع الحضريّ.

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
وبالرغم من التغيير الذي طرأ على هذين الشكلين في البنية التقليدية والتغيرات الهيكلية والتنظيمية  
للعائلة القرابية وارتفاع المستوى التعليمي للإناث، وتزايد مشاركة المرأة في العمل والإنتاج  
الاقتصادي، وعلاقة التقدير المتبادل بين الكبار والصغار في العائلة، إلا أن تقدير قيم الذكورة لا  
تزال متقدمة على قيم الأنوثة ومكانتها في مجتمع بيت حانون الحضري.

#### العائلة القرابية بين الممتدة والنووية:

تتصف العائلة القرابية في مجتمع بيت حانون الحضري بأنها عائلة واسعة أو كبرى تهتم بالعلاقات  
القرابية التي تشمل مختلف أنواع العلاقات الاجتماعية، ويتعلق تطورات العائلة بالتطورات  
الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما واكبها من تطورات في مجالات التعليم واتساع المدينة،  
وانبثاق الطبقات وانتشار بعض القيم التي تشدد على أهمية الفرد، مع التشديد بالمقابل على أهمية  
العائلة القرابية، وتشير الحالة رقم (٨) "أكيد الأسرة الكبيرة تؤثر على القرابة لأنها هي من تحدد  
مكانتك مع العائلات الأخرى ويكون عندك رجال سند والناس تهابك من عدد أولادك وأفراد عائلتك،  
وعلى قول المثل: عد رجالك وأرد الماء"، ويمكن القول هنا على مدار العقود الطويلة الماضية كان  
الترابط الأسري داخل العائلات الكبيرة هي السمة المميزة للوضع الاجتماعي داخل مجتمع بيت  
حانون، لما كان لهذا التجمع العائلي الكبير العديد من السمات والمزايا التي كان لها دور على  
مستوى الحياة الاجتماعية للعائلة القرابية، أما الحالة رقم (١٠) فنقول: "اليوم الزمن اختلف الأولاد  
صاروا يحددون أسرتهم ويقررون عدد الأبناء ويفضلون الأسرة الصغيرة (النووية) حتى يقدر يعيشهم  
ويسترهم بدون مصروفات زيادة، والحياة صعبة بخلفة الأولاد الكثير"، وبهذا أظهرت الدراسة الميدانية  
أن الأسرة الصغيرة هي التي بدأت تسود نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة وتزايد الاستهلاك في المجتمع  
الحضري، وهذا أكده الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن نتائج البحث السكاني لعام ٢٠١٧  
فيها عدد الأسر النووية (٦,٩١٨) ما نسبته (٨٣%) وأن عدد الأسر الممتدة (١,٤١٩) ما نسبته  
(١٧%) من إجمالي سكان مجتمع بيت حانون حسب التجمع ونوع الأسرة، كما وتضيف الحالة أن:  
"أولادي الإثنين ساكنين برة (خارج) محيط العيلة، ولكن بشوفهم باستمرار ويشاركون العيلة في أغلب  
المناسبات ولا ينقطعون عن الزيارات"، وهنا نقول أن التغيرات في نمط الأسرة الممتدة بفعل التقدم  
التقني والتحول الاجتماعي أدى إلى تغيرات أصابت هذه الأسرة حتى استقرت على النمط النووي

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

المعروف داخل مُجتمع بيت حانون الحضريّ التي ساعد في تراجع بعض من الصفات المميزة للطابع القرابيّ الواسع، وبالرغم من تفضيل العيش في أسرة نووية إلا أنّ مرجعيتها هي العائلة الواسعة الكبيرة الحاضنة لامتداد الأسرة النووية في المُجتمع، ولا تلغى صبغة القرابة عن أفرادها حتى وإن كانوا خارج المحيط القرابيّ، وهذا يؤكد الجهاز المركزيّ للإحصاء الفلسطينيّ الذي يشير التقديرات المبنية على نتائج مسح القوى العاملة عام ٢٠١٩ والتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠١٧ إلى انخفاض في متوسط حجم الأسرة في فلسطين مقارنة بعام ٢٠٠٧، حيث انخفض متوسط حجم الأسرة إلى ٥.١ فرداً عام ٢٠١٩ مقارنة بـ ٥.٨ فرداً عام ٢٠٠٧ (الجهاز المركزيّ للإحصاء الفلسطينيّ، ٢٠١٩: ٣).

وتلخيصاً لما سبق يُمكن أن نُجمل أنّ القرابة العاصبة جانبٌ مهمٌ لنسق القرابة في مُجتمع بيت حانون الحضريّ كون العائلة القرابية تتكون من جماعة من الأفراد تنتمي إلى أصل واحد، وينحدرون من أب واحد، تجمعهم علاقات قرابية تعتمد على الروابط الدموية الحقيقيّة، وهم يؤمنون بهذا المبدأ، ويعتبرونه مبدأ يحدد علاقاتهم الداخلية فيما بينهم وعلاقاتهم مع الآخرين، وتتصف العلاقات فيها بالتآزر والمناصرة بسبب العصبية التي تقوم على أواصر الدم واللحمة، والتوحد في مصير مشترك التي يتقاسم أفرادها الأفراح والأحزان، كما أنّ العائلة في هذا المُجتمع تتميز بأبويتها وهرميتها ليس فقط من حيث القرابة الدموية أو القرابة بالمصاهرة، بل من حيث السلطة، وتقسيم الأدوار، فتبدأ السلطة والمكانة والنفوذ بأكبر الذكور سنّاً تتدرج إلى أصغر سنّاً، فيمثل الأب أعلى الهرم، ويكون تقسيم المكانة على أساس الجنس والسن، وتُمثل المرأة في بعض العائلات موقفاً دونياً في بنية العائلة، والبعض الآخر من العائلات تُمثل المرأة الأكثر تحضراً والنظرة لها فيها احتراماً لدورها في المُجتمع، لأنّ أصحاب هذه النظرة توجهوا نحو تفضيل الأسرة النووية على حساب الأسرة الممتدة، وتميزت هذه العائلة القرابية الحضرية بخصائص بنائية ووظيفية تختلف بها عن العائلة القروية قديماً في مُجتمع بيت حانون، وذلك في استجابة العائلة لظروف المُجتمع الخاصة وتكيفها معها، وقد دفعت هذه الخصائص بعض أفراد العائلة إلى اعتبار العائلة الحضرية تُمثل نمطاً جديداً لنسق قرابيّ أكثر توافقاً مع طبيعة العصر.

**أنماط الزواج والطلاق:**

**غاية الزواج:**

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

يُعتبر الزواج الشق الثاني من دراسة القرابة بعد القرابة العاصبة، كما يعد النواة الأولى لتكوين العائلة القرابية بشكليها النووي والممتد، ويُعتبر الزواج المرحلة الأولى من مراحل بناء الأسرة، ويتوقف نجاح هذه الأسرة على درجة تحمّل كل من الزوجين للمسؤولية والوعي بالزواج، في ذلك تقول الحالة رقم (٩) "لازم أستر أولادي وأحل مشاكلهم بالزواج، وأحفظ الذرية والتكاثر فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَّمَ"، وبالزواج يكتمل نصف الدين"، وهنا نعلق قائلين: يُساعد الزواج على بناء أسرة متكاملة ومتآلفة، وإعفاف المرء نفسه وزوجه عن الوقوع في المحذور، ويُحقق الاستقرار النفسي لكل من الرجل والمرأة، ويحفظ النوع الإنساني من الزوال، من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية التي تحقق القيم الإنسانية الأبدية.

#### الزواج الداخلي (ضمن الجماعات القرابية الواحدة):

ساد الزواج في مُجتمع بيت حانون نحو الزواج الداخلي ضمن نطاق العائلة القرابية الواحدة، وفي ذلك تقول الحالة رقم (٨) "أنا تجاوزت بنت عمي، وعيب كان زمان الواحد يتجاوز من خارج العائلة إذا كان في بنات في العيلة"، يستدل من هذه الحالة أنّ الأسر في المُجتمع يفضلون في المقام الأول الزواج من أبناء العمومة ثمّ يستمر التفضيل بعد ذلك من العائلات الأخرى.

كما أكدت المعنى نفس الحالة رقم (١٣) على أنّ "الوالد زوجني بنت عمي، وكان يقول ابن العم ينزل ابنة العم عن الفرس"، وهنا نقول: إنّ الزواج الداخلي يتصل إلى الانتساب الأسري بنظام اختيار الزوج من قبل الأهل باعتبار أنه ليس شأنًا شخصياً للمتزوجين، بل مسألة عائلية بالدرجة الأولى وقد جرى العرف على أنّ الزواج من بنت العم والنسايب هو الزواج المفضل، حتى كان ابن العم يعتبر ذلك حقاً من حقوقه، ومن مظاهر المبالغة المعروفة في هذا النزوع أنّ بعض الأهل الخاضعين للمرجعية التقليدية قد يُسمون بناتهم للزواج من أشخاص معينين حتى عند الولادة، وفي ذلك تقول الحالة رقم (١٥) "ابنة العم تستر بيتك وتحافظ عليك أحسن من الغريبة، ويظلّ أولاد عمك حواليك وجنبك يسندوك لما يكون في بينكم نسب"، وتبين من هذا القول أنّ من بين الزوجات التي حظيت باهتمام الكثير وهو الزواج من بنت العم لأنه المفضل من وجهة نظر المُجتمع، تسود فكرة أنّ للقرابة مميزات إيجابية من حيث الولاء الأكبر للعائلة.

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

وتشير الحالة رقم (٩) "كانوا زمان يرفضون زواج البنات حتى ما يتوزع ميراث الأب على النسب من عائلة ثانية، وكانت حجتهم كيف أجيب ابن فلان (النسب زوج البنت) يسكن عند أولادي ويأخذ أرضي، كانت الموافقة على ابن العم على طول للمحافظة على بعضنا وما واحد غريب يدخل بيننا"، كما تصيف نفس الحالة "ابنة العم تحافظ على ملكك وعلى ترابط العيلة، ويظل عندها انتماء للعيلة يعني منّا وفينا على قول المثل من طين بلادك لئس على خدادك"، ويستدل من هذه الحالة أنّ الزواج الداخلي كان في مجتمع بيت حانون هو المفضل من الأقارب وخاصة أبناء العمومة، أي يستمر التفضيل في خط الأب، وذلك حتى لا توزع الثروة عند بعض العائلات المالكة على جماعة أخرى، وحتى تستمر العائلة في تماسكها وترابطها.

وهنا نفس ظاهرة استمرار الزواج القرابي هذه في ضوء عوامل نذكر منها: الإنجاب لتكثير النسل من أجل تكبير العائلة والعزوة، وضرورات المحافظة على أمن وأمالك العائلة، ولا يمكن أن تعمل على تسيخ العائلة وتقسيمها، وتخفيض قيمة المهر المتزايدة، والتقليل من احتمالات الطلاق، كما أنّها مخرصة في تنشئة أطفالها، ولا تحبذ الابتعاد عن العائلة أو الأسرة الممتدة بصفة عامة، بهدف المحافظة على النسب والإرث وعدم التغريب، وذلك ما هو سائد حتى الآن لدى بعض العائلات القرابية الكبيرة والمعروفة في المجتمع.

### الزواج الخارجي (خارج الجماعات القرابية):

تلجأ بعض العائلات في المجتمع إلى الزواج الخارجي، كونه يجدد الدماء والصلات الاجتماعية، وليس معنى ذلك أنه يغني عن الزواج الداخلي، وفي ذلك تقول الحالة رقم (١٣) "هذه الأيام صارت النظرة للزواج مادية على المصلحة بدون ما يراعي الواحد بنت العم، أما إذا كان في بنت عم وتفي بالمصلحة فليكن ولكن صار شباب العائلة تروح خارج العائلة للزواج"، وتبين من خلال الدراسة الميدانية أنّ هناك تغيرات اجتماعية حصلت في نظام الزواج، فلم يعد الزواج الداخلي هو الشكل السائد في المجتمع القرابي بل تخلل ذلك الزواج الخارجي، حيث تقول الحالة رقم (١١) "الدنيا تغيرت صار انفتاح على الزواج غير مربوط بابنة العم الناس وعيبت وتعلمت وصارت المرأة تعمل ويتم الاختيار على وظيفتها وتعليمها، وصارت مشاركة في اتخاذ قرارات الزواج"، وهذا القول أدى إلى ميول بعض العائلات إلى الزواج الخارجي لوعيهم الديني والثقافي، وانفتاحهما ونظرتهم المعاصرة.

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

أما الحالة رقم (٧) فنقول: "لما تزوجت زارتنا جاهة تطلبني للجيزة (للزواج) وكانت من الأشخاص الوجيهاة (الشخصيات المعروفة) التي لها مكانة واحترام حتى يطلبوني من أبوي، وبعد أيام ردينا عليهم بالموافقة تفضلوا للخطوبة وقراءة الفاتحة، والله كان الزواج زمان أحسن، فيه احترام لأهل العروس وتقدير النسب"، وهنا نقول أن هناك مؤشرات رمزية وراء تفضيل نمط الزواج الداخلي، ويتعلق ذلك بالتأكيد من موقع الزوج في الجماعة ومكانته فيها، ومن هذه المؤشرات تقليد الجاهة، وهي أنه في مرحلة خطبة الفتاة، يرسل أهل الشاب "جاهة" إلى أهلها لخطبتها، وتتألف الجاهة من "أهل العريس وكبار العائلة الذين يحتلون مراكز اجتماعية مرموقة" في الجماعة، لما في ذلك من الدعم المعنوي والقرايبي من قبل الجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

#### المهر:

يتعلق المهر بأعراف الزواج والطلاق في المجتمع، وهو في الأصل معياراً إلى حماية حقوق الزوجة، فالمهر هو مبلغ من المال يدفعه الرجل للمرأة التي ينوي الزواج بها، وقد فُرض حقاً للمرأة وتكريماً لها، وتقول الحالة رقم (٢) "ما في فرق بين قيمة المهر إذا كانت غريبة ولا قريبة هذا حسب الاتفاق بين الطرفين بناءً على ظروفهم، ويعتبر صدقة رقبته"، وهنا نقول أن قيمة المهر تختلف من أسرة لأسرة ومن عائلة لعائلة حسب مكانتها وشعورها بالفخر والاعتزاز، وخاصة إذا كانت البنت عزيزة أو جميلة أو متعلمة أو موظفة، أو من الأقارب، كلما توافرت مزايا أكثر في البنت اعتقد والداها أن هذه المزايا لا بد أن تقدر تقديراً لتكون قيمة المهر (الثن) مساوياً لقيمة البنت، ولكن هناك تعارض مع الحالة رقم (١١) التي تقول "أكيد مهر ابنة العم يختلف عن الغريبة أولاد العم يسترون بعض بأقل التكاليف ويكون النسب أقوى، أما مع الغريبة لازم يكون في هناك التزامات وتباهي بين النسب من عائلة ثانية"، في معظم الحالات يكون زواج الأقارب مدفوعاً بالرغبة في "الستر"، ويستدل من هذا القول أن الزواج الداخلي مبدأ اجتماعي متوارث، ويعفي الأقارب من الالتزامات المالية المفروضة قسرياً على المتزوجين، كارتفاع تكاليف الزواج، وتكاليف الزواج من بنت العم يمكن التحكم به ليكون أقل من المتوقع؛ إذ تشفع لهم صلة القرابة بتذليل كافة الأعباء المادية التي قد يتحملونها إذا ما تقدم لفتاة أخرى من خارج العائلة.

#### سن الزواج:

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

تختلف المفاهيم وتتضارب الآراء حول سن الزواج المناسب باختلاف طبيعة كل عائلة عن الأخرى، والذي تمثل في عمر سنوات الفرد الكاملة في وقت إتمام الزواج الفعلي، والذي يبلغ به النمو النفسي والاجتماعي للفرد، الدرجة التي تمكنه من إدارة الأسرة اقتصادياً واجتماعياً ومن تربية الأبناء، فهناك من يفضل الزواج مبكراً، وآخرون يرون أن الزواج في سن مبكر هو أمر محكوم عليه بالفشل، ولكن يُعتبر سن الزواج في مجتمع بيت حانون هي حالة الفرد الشخصية الحالية التي يكون عليها ذلك الفرد الذي يبلغ من العمر ١٤ سنة فأكثر وقت فترة الإسناد، والمتعلقة بقوانين وعادات الزواج المعمول بها في المجتمع الفلسطيني، وقد تبين في ذلك في قول الحالة رقم (١٢) "أنا تزوجت وعمري (١٥) سنة وزوجي كان عمره (١٦) سنة حتى أساعد أمه (حماتي) في شغل البيت، وتشوف أحفادها وتتباهى فيهم، حتى كمان جوزت بناتي صغار حتى استرهن، في مثل كانت أمي تقوله عن الجواز من البنات الصغيرة يا مآخذ الصغار يا غالب التجار"، وهنا نقول غلب على مجتمع بيت حانون قديماً الزواج المبكر حيث كان المفضل لأن المجتمع كان مجتمعاً قروياً، وحديثاً ما زال الزواج المبكر موجوداً عند بعض العائلات مقارنة بالقديم، واللجوء إلى الزواج المبكر كان بدافع دعم للروابط والعلاقات بين الأسر، حيث كان يتم تزويج الفتى والفتاة في السن ما بين الرابعة عشر (١٤) والخامسة عشر (١٥)، وغالباً ما ترغب الأم في زواج أبنائها في سن مبكر من منطلق أنها قد تزوجت وهي صغيرة وترغب في رؤية أحفادها وهي أيضاً صغيرة، وترى أيضاً أهمية تزويج بناتها في سن مبكرة، ومن ثم لا بد من تعويضهن بمن ساعدها في القيام بمهام العائلة، كما كان تفضيل الزواج المبكر للإناث ينبع من الرغبة في حفظ البنات وسترهن، وهذا ما يوكده الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في عام ٢٠١٦ على أن خمس الإناث في فلسطين تزوجن مبكراً (في عمر أقل من ١٨ سنة) بلغت نسبة الزواج المبكر للإناث ٢٠.٥% مقابل ١.٠% للذكور وذلك من المجموع الكلي للأفراد المتزوجين في فلسطين.

وتشير الحالة رقم (١٤) "أنا تجوزت (تزوجت) على (٢٠) سنة لما كنت بدرس، اليوم صار عند الناس وعي في موضوع الزواج المبكر صار أحسن نوعاً ما، لأن زواج الأبناء في سن مبكر يسبب مشاكل كثيرة تصل إلى الطلاق، والسن المناسب للزواج سواءً للذكر أو الأنثى للبالغ الراشد، حسب تكوينها وبنيتها الجسميّة، وأن تكون عقلية الأزواج مؤهلة لهذا الزواج"، وهنا نقول أن قياس سن الزواج يُقاس بعدة عوامل من أهمها درجة الخصوبة، والقدرة الفكرية والعقلية هي أحد العوامل التي

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

على أساسها يمكننا قياس السن المناسب للزواج، وقدرة الشاب أو الفتاة على تحمل مسؤوليات الزواج، من مشكلات أبناء وضغوطات الحياة التي لا تنتهي، لأنهما بالزواج أصبحا مسؤولين مسؤولية كاملة بإقامة أسرة تتكون من أب وأم وأبناء، ولا يستطيعان الاستناد على الأهل كما في السابق، وعليهما الالتزام بتحمل ما يقع على عاتقهما من أمور قد تكون في بعض الأحيان صعبة، وتحتاج إلى بعض التفكير.

وهنا يمكن القول: إنَّ الزواج قبل بلوغ سن الرشد قد لا تكفل فيه مقدرة الذكر أو الأنثى على إدارة أسرتهما اجتماعياً واقتصادياً، وهذا ما يؤكد الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عندما استعرض أوضاع المرأة الفلسطينية في يوم المرأة العالمي في انخفاض ملحوظ في نسبة الزواج المبكر في فلسطين بأنَّ هناك انخفاض في نسبة الزواج المبكر (لمن هم أقل من ١٨ سنة) لكلا الجنسين، فقد بلغت نسبة الإناث أقل من ١٨ سنة واللاتي عقد قرانهنَّ خلال عام ٢٠١٨ حوالي ٢٠% من إجمالي الإناث اللاتي عقد قرانهنَّ خلال نفس العام في حين كانت النسبة للإناث عام ٢٠١٠ حوالي ٢٤%، (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠١٩: ١).

#### تعدد الزوجات:

أباح الدين الإسلامي للرجل حق الزواج بأربع نساء، شرط العدل بينهما والقدرة على الإنفاق، كما وأقر قانون الأحوال الشخصية الفلسطيني بتعدد الزوجات، وقد تبين في قول الحالة رقم (١٥) "أبوية وأعمامي وأولادي عددوا في النسوان لأجل العزوة والأولاد الكثير، قديش بكون عندك ازلام (رجال) ببيكون لك احترام، وبعدين القرآن سمح للزلمة يتجوز أربعة مش واحدة"، وهنا يمكن القول: إنَّ لتعدد الزوجات هامشاً في مُجتمع بيت حانون؛ وذلك لإنجاب عدد كبير من الأولاد للعزوة وتكبير العائلة، حتى يكون لك مكانة حسب عدد الأبناء الرجال في المُجتمع، وتضيف الحالة رقم (١٢) "تعدد الجواز (الزواج) حسب الظروف يعني إذا ماتت المرة لا سمح الله أو مريضة أو صار طلاق يتجوز الزلمة"، هنا ينبغي القول: إنَّ مساهمة عدة عوامل في تكريس ظاهرة تعدد الزوجات منها: حالات الطلاق والوفاء، والموروث الاجتماعي والثقافي الذي تتناقله الأجيال، والذي يدل على مظهر اجتماعي كان سائداً في الوجاهة والنفوذ، والقدرة على الزواج بأكثر من زوجة، وقدرة الرعاية التي تدفع صاحبها إلى التناحر، والرغبة في إنجاب أكثر عدد ممكن من الأحفاد، لزيادة العائلة القرابية،

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

ورفع مكانة الرجل في عائلته، وتكريس مبدأ العصبية القربانية، وتثبيت النظرة الذكورية على حساب مكانة المرأة، واعتبارها من ممتلكاته الخاصة، وتشير الحالة رقم (١٤) "اليوم صار تعدد النسوان (الزوجات) فيه مسؤوليّة وعبء على الزلّمة (الرجل) ويحتاج لمصاريف والتزامات بيتية"، وأياً كان السبب فهذا بدوره يسبب عدداً من العوائق، ويجعل مهمة التربية أكثر عبئاً ومسؤولية، كذلك يحول بين الاهتمام بالأولاد في الأسرة، فتقل نسبة النفقات عليهم، نتيجة لكثرتهم، وبالتالي يقل الاهتمام بأمور حياة الأبناء من تعليم وخدمات صحية ورعاية اجتماعية.

### زواج البديل:

تظهر أهمية زواج البديل الذي يقوم به الرجل بالزواج من إحدى فتيات أسرة غير أسرته على أن يقوم أحد أعضائها بالزواج من أخته أو إحدى قريباته لتقوية روابط المصاهرة بين العائلتين، ليساعد على استمرار الحياة الزوجية في كل من الأسرتين، وفي ذلك تقول الحالة رقم (١) "جواز البديل كان زمان متين وفيه احترام ويسترن بنات العائلتين ويقوي النسب بينهم"، ويستدل من الحالة أن الواقع لزواج البديل يضيفي على العلاقة قوة ومتانة ككل، ويظهر ذلك حين تتجب الأسرتان أبناء يتم الزواج بينهم كأبناء عمومة وقربا، وينتمي أبناؤهم إلى كل من الأسرتين عن طريق القربا الأبوية والقربا الأمومية على السواء، وتضيف الحالة رقم (١٠) "جواز البديل اليوم يخوف فيه مشاكل كثيرة وبعمل ضعف في العلاقات بين القربا، لأنه بصير فيه مشاكل كل جوز مرهون بالثاني هي مشكلة هذا الجواز (الزواج)، على قول المثل جواز البديل فيه قلة عدل"، وهنا نقول بجانب الشكل التقليدي لزواج البديل، والذي يتم بين أخ وأخت من عائلة مع أخ وأخت من عائلة أخرى، كما قد يزواج الأب مع ابنته يأخذ أخت رجل أو ابنته ويعطي له ابنته، وتحدث الزوجتان في الوقت نفسه دون تكاليف الزواج، وقد كان يعتقد أن هذا الزواج يساعد على الاستقرار العائلي؛ لأن كل طرف سيكون حريصاً على استقرار زواج أخته، إلا أن بعض الحالات أكدوا على أنه ثبت ضعفه؛ لأن أية خلافات ومشكلات في إحدى الزوجات؛ بسبب عدم الإنجاب أو عدم التوافق الزوجي ينعكس على الزيجة الأخرى وقد يؤدي إلى حدوث طلاق أو انفصال للزوجتين مهما كانت الظروف فالزوج ليس كياناً مستقلاً أو له حرية في اتخاذ قراره، بل جزء من العائلة التي لا تقبل أن تستمر زوجته في المعيشة معهم، بعد انفصال شقيقها عن ابنتهم أو طلاقها وعودتها إلى مسكن العائلة، كما أن الزواج مرة أخرى في إحدى الزوجتين يؤدي إلى المماثلة في الزيجة الأخرى.

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

### أنماط الطلاق:

الطلاق ظاهرة اجتماعية رافقت المجتمعات الإنسانية منذ تكوينها الاجتماعي الذي عمل على تفكيك الأسرة وانحلال العلاقات الاجتماعية، وتعتبر هذه الظاهرة انفصال الزوجين، نتيجة لصراعات تُخيم على الحياة الزوجية، وفي ذلك تقول الحالة رقم (١) "الطلاق يعمل على شرح في العلاقات مع الأقارب، أما الغريب ليس بينك وبينه قرابة فكل واحد يذهب إلى حال سبيله، عشان هيك ما كان زمان طلاق كثير لأنه كان يعتمد على كل العائلة تتدخل في حل المشاكل بين الطرفين"، ويستدل هنا أنّ الأسرة كانت في مجتمع بيت حانون منضبطة بتقاليد وروابط اجتماعية، حيث تعيش المرأة بدور ربة البيت، في ظل هذه المعايير المجتمعية، وكانت فكرة الطلاق أكثر صعوبة، والعائلات القرابية تنفر منها؛ بسبب شدة الروابط القرابية وصرامة التقاليد السائدة بين العائلات، أما الحالة رقم (٢) فنقول: "اليوم صار الطلاق بدون ضوابط ويعتمد على الجوزين (الزوجين) فقط بدون الرجوع للعيلة لحل المشكلة بين الإثنين"، ونقول هنا في ظل التطور نحو مجتمع مدني جديد، وقصور في القانون تصادم مع ما هو قائم في المجتمع من قيم، ليعكس تحولاً في القيم والمعايير التي ترتبط بطبيعة الزواج والطلاق.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول: إنّ أنماط العادات الاجتماعية المتصلة بالزواج صاحبها تغيرات في مراسم وطقوس الزواج من الخطبة وتجهيز العروس وتقديم طعام العرس التي كان يسودها الأهازيج والأغاني الشعبية التي تظهر فيها ترابط العلاقات، والفرحة بمدى النسب بين العائلات، ومن أهم هذه التغيرات: أنّ الأم تؤدي دوراً رئيساً في معرفة الفتاة التي قد تكون خطيبة ابنها ثم زوجته، حيث تقوم بعدة اتصالات ومحاولات لمعرفة خطيبة ابنها من ناحية الحسب والنسب ومن ناحية الصحة الجسميّة والعقليّة، وأيضاً من ناحية قابليتها وقدرتها على العمل وتحملها مسؤولية النهوض بمتطلبات الأسرة، فتكون موافقتها عليها، ثم يأتي دور الوالد الذي يكون من واجبه التقدم لخطبة الفتاة من ولي أمرها، ومما يدل على ذلك ما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية حينما وجدنا أنّ بعض الشباب ما زال معتمداً على أهله في إيجاد الزوجة المناسبة، وبعد ذلك تدخل الأم قد أصابه شيء من التحول والتبدل، فبجانب دورها ظهر دور الابن وأصبح الشاب هو الذي يختار الفتاة، ثم يأتي دور الأم ودور الأسرة أو العائلة في مرحلة لاحقة، وقد لوحظ ذلك من خلال العمل الميداني، أنّ حالات لم

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

تعد تتبع الطريقة التقليدية في الزواج، واتجهن نحو الانفتاح في هذا الجانب، وأن الشاب هو الذي يختار الفتاة وذلك في نطاق مشاورات مع أهله وعائلته، وهنا ينبغي أن نعرّج أن الفتاة تشارك في عملية اختيار شريك الحياة بنفسها، أو الموافقة على من يتقدم لخطبتها إن رغب، ورفضه إن لم ترغب.

ومن التغيرات التي طرأت على عادة الزواج أيضاً أن مراسم الزواج أصبحت مضبوطة بأقل التكاليف وبعيدة عن التعالى والإسراف في المظاهر والتفاخر الاجتماعي، ولا شك أن هذه التحولات في العادات الاجتماعية بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية التكنولوجية والعلمية والفنية وانتشار التعليم، وينبغي هنا ألا نبالغ كثيراً في هذه التحولات، بمعنى أن التحول والتبدل في القيم والعادات الاجتماعية هو تحول بسيط إذا ما قيس بالتحولات المادية (التقنية) والاقتصادية.

وينبغي الذكر أن القرابة بالمصاهرة عملت على بناء روابط قرابية من خلال انضمام بعض الأفراد بالمصاهرة إلى أن أصبحوا ضمن عائلات قرابية دموية مع مرور الزمن في هذا المجتمع، وتحسنت النظرة بأثر الحدثة إلى ميل بعض العائلات إلى الزواج الخارجي بعدما كان الزواج الداخلي المفضل، وتعدد الزوجات كونها من الظواهر القديمة والتي لا زالت مستمرة في المجتمع والتي تحظى بتأييد من أغلب العائلات، كذلك نجد عند بعض العائلات ظاهرة زواج البديل التي يرونها تدعم علاقات القرابة، في حين أن الدراسة الميدانية بينت أنه تقليد ينطوي عليه مشاكل محتملة في المجتمع، والذي يكون بوابة لوقوع الطلاق الذي يفرق العلاقات القرابية والاجتماعية ويفاقم الصدع بينها، ومما ينبغي ذكره أن هناك معياراً دخلياً وجديداً على معايير اختيار الزواج يتماشى مع الواقع الجديد في المجتمع الفلسطيني الذي خلفه الانقسام السياسي، الذي أثر على اختيار شريك أو شريكة الحياة كما في العادات والتقاليد والأديان، حيث اختزلت معايير اختيار الانتماء السياسي لأسرة الشاب والفتاة، وعلى هذا المعيار يتم القبول والرفض.

### ثالثاً: نتائج الدراسة وتوصياتها:

#### تحليل نتائج الدراسة:

١. كشفت النتائج عن التباين بين العلاقات القرابية قديماً وحديثاً، حيث إن العلاقات القرابية والاجتماعية في الماضي كانت أنجح، ويتمسك الفرد في العائلة القرابية بقيمه وعاداته وتقاليده؛ أي بثقافته القرابية، كما يتمسك أيضاً بأسلوب حياته الاجتماعية والثقافية، بينما اليوم أقل تماسكاً لروابط

د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢

القربانية مقارنةً في الماضي، وبالرغم من التباين إلا أنَّ الأقراب في المُجتمع تربطهم علاقة دموية حميمة، ويشاركون بعضهم في المناسبات، وهذه النتيجة تتوافق مع دراسة بركات (٢٠١٢) التي تناولت تغير أحوال العلاقات الاجتماعية في سياقها الاجتماعي والتاريخي، وفي البنية الطبقيّة والاختلاف في الأنماط المعيشية، وما يترتب على ذلك من تنوع في التنظيم الاجتماعي، ودراسة الثقافة بمختلف تشعباتها وتنوعها، ومختلف جوانب التحولات في البنية الاجتماعية، كما في الحياة الثقافيّة.

٢. أكدت النتائج أنَّ الاتجاه الاجتماعي العام من الأسر أقرت بأن أغلب أسماء أبنائها يكون بناءً على أسماء الأقراب الذين يرتبط معهم برابطة العصبيّة القربانيّة تمجيداً وحباً لذكراهم، وينادون بعضهم حسب صفاتهم القربانية وأدوارهم ومكانتهم في العائلة القربانيّة.

٣. أظهرت النتائج أنَّ الانتقال من مكان لآخر لا يعني إمكانية الخروج من دائرة العائلة القربانيّة الدائمة بشكل مطلق، فما تزال الأسرة في المُجتمع تغرس داخل الأبناء ملامح العصبيّة القربانيّة السكانيّة والجغرافيّة والتاريخيّة بما يدفع الأبناء إلى التمسك بتلك القيم، إذ إنَّ هناك العديد من الأسر التي استطاعت العيش خارج البيئّة السكانية للعائلة القربانيّة، قد حققت مكانة اجتماعيّة ملموسة، مع ظهور عوامل عديدة أدت إلى تراجع وظيفة العائلة القربانيّة، فقديمًا كانت مساكن عائلات الأقراب الواحدة تتجاور ويظهر فيها روح التماسك والولاء للعصبيّة، وحاليًا قد ظهر عند بعض العائلات التنقل من مكان العائلة القربانيّة، وهذا أدى إلى حدوث تغيير في بعض العلاقات البنائيّة في العائلة القربانيّة، هذا بالإضافة إلى علاقة المصاهرة التي أدت إلى اتساع دائرة العلاقات القربانيّة، وعكست أثرها في تخفيف حدة التوزيع المكاني للعائلات.

٤. اتضح من النتائج أنَّه قد تحدث الخصومة بين الأقراب داخل العائلة الواحدة، ولكن هذه الخصومة يباشرها الأطراف المتنازعة، وممثلو عن العائلة بالصلح حتى يعمّ السلم وتقوى وسائل الضبط بين أفرادها، وذلك لأنَّ العائلة ترتبط بروابط تاريخيّة أصيلة واجتماعيّة التكوين القربانيّ لدى أفرادها الذين تجمعهم وحدة الدم والقربان والولاء للعائلة، وهذه النتيجة تتوافق مع نتائج دراسة عبدربه (٢٠١٥) في علاقة أنساق الضبط الاجتماعي بالنسق القربانيّ من خلال تناول وسائل الضبط غير الرسمية التي اعتبرت أنها الأكثر اهتماماً وانتشاراً من قوانين عرفية وقضاء عرفي.

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

٥. بينت النتائج أنَّ الوحدة القرابية ترتبط بالسلطة الأبوية، أي أنَّ الأب يتمتع بالاحترام والطاعة من الأبناء، كذلك يتولى مركز السلطة، والمسؤولية الاجتماعية للأسرة، ويرجع إليه في جميع الأمور كما أنه مسؤول عن التزامات الأبناء، ويشرف على تماسك الأسرة وتضامنها وعلاقتها الخارجية بالأسر وبالعائلات الأخرى، ولكن مع التغير الذي حدث من التقدم التقني والتحضر تأثر نسق العلاقات الأبوية بفلسفة الأدوار المتبادلة، وتراجعت السلطوية الأبوية التقليدية وظهر مبدأ المساواة كقيمة من القيم الأسرية المتغيرة، فأصبح بإمكان الأبناء كسب قوتهم والاستقلال نوعاً ما عن آبائهم، فأصبحوا أصعب مراساً وأقل احتمالاً لتقبل سلطة الآباء، فعدت الأسرة الحضرية تواجه صعوبة في توجيه سلوكهم وتدبير شؤونهم والسيطرة عليهم وفق القيم التقليدية.

٦. كشفت النتائج عن أنَّ العائلة القرابية تراتبية في المجتمع ترفع من شأن الرجولة وتميز الذكر عن الأنثى لأنه يُنظر إلى إنجاب الذكور بوصفهم قيمة اجتماعية، لذا يقاس مركز العائلة بما تملكه من ذكور ويمثل الذكور القوة الاجتماعية وذلك لطبيعة المجتمع العائلي الذي يغلب عليه الطابع الأبوي بوعي تكوري، كذلك بينت النتيجة أنَّ الفروقات العمرية بين الأجيال لها أثر داخل الأسرة، حيث يهيمن الكبير على الصغير، وفي خضم التحولات الحضرية المتنوعة ظهرت فلسفة تقدير المساواة بين أعضاء الأسرة بصرف النظر عن الجنس أو السن، لتوجيه آليات التفاعل الأسري وجهة جديدة غيرت من مظاهر السلط الأبوي التقليدي التي كانت تستند إلى فوارق السن والجنس كأساس أولية لتحديد مكانة الفرد في الأسرة، وتحديد أنماط السلوك المتوقعة منه، وتوجيه علاقاته مع الآخرين، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة عبد (٢٠١٢) في التمييز بين الأبناء بالرغم من التغير الذي طرأ على البنية التقليدية للعشيرة، وأنَّ هناك تمييز بين الذكر والأنثى لصالح الذكر في المجتمع العشائري.

٧. أوضحت النتائج أهمية العيش في أسرة نووية، وأنَّ الأسرة تتجه حديثاً من النمط الأسري الممتد إلى النمط الأسري النووي لأنَّ هذا النمط يتلاءم مع أكثر متطلبات الحياة الحضرية وخاصة الحراك الاجتماعي والحرية المجتمعية، حيث تقيد الالتزامات القرابية الممتدة الفرد، وتصرف جهوده عن الاهتمام بتحسين أحواله وظروف معيشته في المجتمع.

٨. بينت النتائج عن أنَّ الأقارب يضبطون علاقاتهم مع بعضهم البعض للحفاظ على ثبات ووحدة تماسك العائلة القرابية، وتحسينها ذاتياً من الانقسام وعدم تسرب أفرادها وتركها، وهذا قد يؤدي إلى

د. شادي الكفرانة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢  
تمرد العائلات الأخرى عليها، حيث إنَّ العائلة القرابية تُمثل للفرد كل معاني الأمان والحماية،  
وتحمي أفرادها عند حدوث خلاف بينهم وبين العائلات الأخرى، وبهمه المحافظة على كيانها  
واحترامها وسمعتها بين باقي عائلات المُجتمع.

٩. أظهرت النتائج أنَّ الغاية من الزواج هي تحقيق بيئة ملائمة من السكينة والراحة، وأنَّه يبني روابط  
اجتماعية متينة، حيث إنَّه من طرق التعارف والتآلف بين أعضاء المُجتمع، كذلك يُعتبر وسيلة  
لتحقيق الاستقرار النفسي بين الزوجين، ويلبي المتطلبات الجنسية لكل منهما في علاقة قانونية  
وشرعية واجتماعية، ويتم من خلاله الإنجاب واستمرار الجنس البشري، وتحقيق ضمان الاستقرار  
الاجتماعي.

١٠. كشفت النتائج عن تغير نظرة المُجتمع لفرق السن بين الزوجين مع مرور الزمن، حيث كان  
صغر السن مقبولاً عند العائلات قديماً، أمَّا اليوم فقد أصبحت العائلات تتوجه لارتفاع سن الزواج  
للأبناء؛ كونه مرتبطاً بالعديد من الظروف التي تختلف من شخص إلى آخر ومن عائلة إلى عائلة  
أخرى.

١١. أظهرت النتائج إلى أنَّ الأبناء يواجهون صعوبة في تحديد القرابة بالمصاهرة، خاصة في أسس  
ومعايير اختيار شريك الحياة، حيث تتعثر اختياراتهم وخضوعهم للعادات والتقاليد والقيم الموروثة  
للعائلة التي تؤثر على عملية اختيار شريك الحياة، إلا أنَّ هناك نظرة حديثة عند بعض الأسر في  
اختيار شريك الحياة، وأنها تعطي هامشاً من حرية الاختيار، وفقاً للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية  
والثقافية للأبناء.

١٢. كشفت النتائج انخفاض قيمة المهر المعلن، وأصبح المهر يكتب في عقد الزواج فقط بدون  
الدفع المقدم وهذا يسمى (المهر على ورق)، ويشذ من ذلك بعض العائلات، وقيمة مهر العروس من  
الأقارب أقل من غير الأقارب وبدون النفقات الكثيرة، وأنَّ يتمَّ الزواج بأقل النفقات، بدلاً من التكاليف  
العالية التي فيها نوع من التفاخر الاجتماعي.

١٣. كشفت النتائج عن تراجع معدلات زواج الأقارب بصورة ملحوظة، نتيجة التغيرات الاجتماعية  
والثقافية في المُجتمع، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج دراسة كرابية (٢٠١٧) في أنَّ هناك تغيرات

### النسق القرابي في المجتمع الحضري...

حديثه قللت من روابط القرابة، وتزايد حرية الفرد في اختيار شريك الحياة، والتوجه نحو الزواج الخارجي، وضعف ميلهم للزواج الداخلي القرابي.

٤. بينت النتائج ميل بعض الأقارب إلى الزواج الخارجي، نتيجة التحولات التي طرأت على ثقافة

المجتمع حيث تراجع الزواج التقليدي القديم، وتزايدت ظاهرة الزواج الخارجي المعاصر.

١٥. بينت النتائج أن تعدد الزوجات ليس وليد اليوم، فهي قديمة ولا زالت مستمرة في المجتمع ويلجأ لها بعض الأفراد في عائلاتهم القرابية؛ لأنها ظاهرة اجتماعية يؤيدها الشرع والقانون والعادات والتقاليد الثقافية، وفيها تفاخر بعدد الزوجات وإنجاب الأبناء في العائلة القرابية.

١٦. أكدت النتائج عن تراجع ظاهرة زواج البدل كونها تقليداً ينطوي على مشاكل محتملة في المجتمع، إلا أن هناك ميلاً عند بعض العائلات بتدعيم علاقات القرابة عن طريق زواج البدل، والشكل الأكثر شيوعاً لهذا الزواج هو أن يعطي الرجل أخته لشقيق زوجته.

١٧. أظهرت النتائج أن الطلاق له تأثيره على العلاقات القرابية، ويعمل على إضعاف الروابط في العائلة القرابية والاجتماعية في المجتمع.

التوصيات:

١- ضرورة اهتمام أفراد مجتمع بيت حانون الحضري بعلاقاتهم الاجتماعية التي تعزز السلم الأهلي وتحقق الاستقرار المجتمعي.

٢- ضرورة تركيز جهود الباحثين على الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الخاصة بالأنساق القرابية؛ لمعرفة التحديات التي تتعرض لها العائلة القرابية.

٣- تبني واضعي السياسات تشجيع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، لتوفير بيئة آمنة ومناسبة للضبط القانوني والمجتمعي لبناء مجتمع مدني قائم على العدالة.

٤- ينبغي توعية الأفراد بأهمية تغيير الصورة النمطية المعتاد عليها في النزعة للعصبية القرابية، وذلك بترويض قيم العدل والمساواة السلمية، لبناء مجتمع فلسطيني ديمقراطي.

قائمة المراجع والمصادر:

- ١- إبراهيم، محمد. (٢٠٠٣) الأنثروبولوجيا، بحوث ودراسات، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- ٢- بركات، حليم. (٢٠١٢) المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

- د. شادي الكفارنة، مجلة جامعة الأقصى، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول، يناير ٢٠٢٢
- ٣- بلدية بيت حانون. (٢٠٢٠) بلدية بيت حانون نحو مستقبل مشرف وخدمات أفضل، إعداد الدكتور محمد نازك الكفارنة.
- ٤- جامعة القدس المفتوحة. (٢٠١٠) نظريات في علم الاجتماع، عمان.
- ٥- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠١٦) أحوال السكان الفلسطينيين المقيمين في فلسطين، رام الله، فلسطين.
- ٦- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (٢٠١٩) التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠١٧: ملخص النتائج النهائية للتعداد، محافظة شمال غزة، رام الله، فلسطين.
- ٧- جيون، س. ومارشال، ج. (٢٠١١) موسوعة علم الاجتماع، ط٢، (ترجمة محمد الجوهري وآخرين)، القاهرة، المركز القومي للترجمة، المجلد ٣.
- ٨- حسام الدين، كريم زكي. (٢٠٠١) اللغة والثقافة، دراسة أنثولوجية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، ط٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٩- حسن، عبد الباسط. (٢٠١١) أصول البحث الاجتماعي، ط١٤، دار الكتب والوثائق القومية المصرية، القاهرة.
- ١٠- شتيوي، موسى وكرادشة، منير. (٢٠١٣) التباينات الحضرية والريفية وآثارها في المجتمع الأردني، دراسة تحليلية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٦، العدد ٣: ص ٣٩٤-٣٧٤.
- ١١- شكري، علياء. (١٩٩٦) الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- ١٢- عبد الحميد، نجوى. (٢٠٠٧) الأسرة والقرابة، دار النور للطباعة، القاهرة.
- ١٣- عبد، عبد الواحد. (٢٠١٢) بنية القبيلة والتغيرات التي طرأت عليها، بحث أنثروبولوجي عن النظام القبلي في محافظة الأنبار، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠١.
- ١٤- عبدربه، منى السيد. (٢٠١٥) النسق القرابي بالمجتمع السيناوي وعلاقته بالتغيرات البيئية المعاصرة في المجتمع المصري، دراسة أنثروبولوجية على مدينة رفح، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة عين شمس.

النسق القرابي في المجتمع الحضري...

- ١٥- عزام، إدريس وأبو حوسة، موسى وربيعة، أحمد. (٢٠٠٩) المُجتمع الريفي والحضري والبدوي، برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن.
- ١٦- غربي، محمد وقلواز، إبراهيم. (٢٠١٦) النظرية البنائية الوظيفية نحو رؤية جديدة لتفسير الظاهرة الاجتماعية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، العدد ١٨.
- ١٧- غزوي، فهمي وخزاعلة، عبد العزيز. (٢٠٠٨) البناء الاجتماعي للمجتمع العربي، جامعة القدس المفتوحة، عمان.
- ١٨- كرابية، أمينة. (٢٠١٧) طبيعة الرابطة الاجتماعية في المجتمع الحضري، دراسة سوسيوأنثروبولوجية لرابطة القرابة بالسانية ولاية وهران، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.
- ١٩- محجوب، محمد. (٢٠٠٩) طرق ومناهج البحث السوسيوأنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

20- Burgess, w., E. & Bogue, J. (1964) Contributions to Urban Sociology, Chicago: The University of Chicago Press.